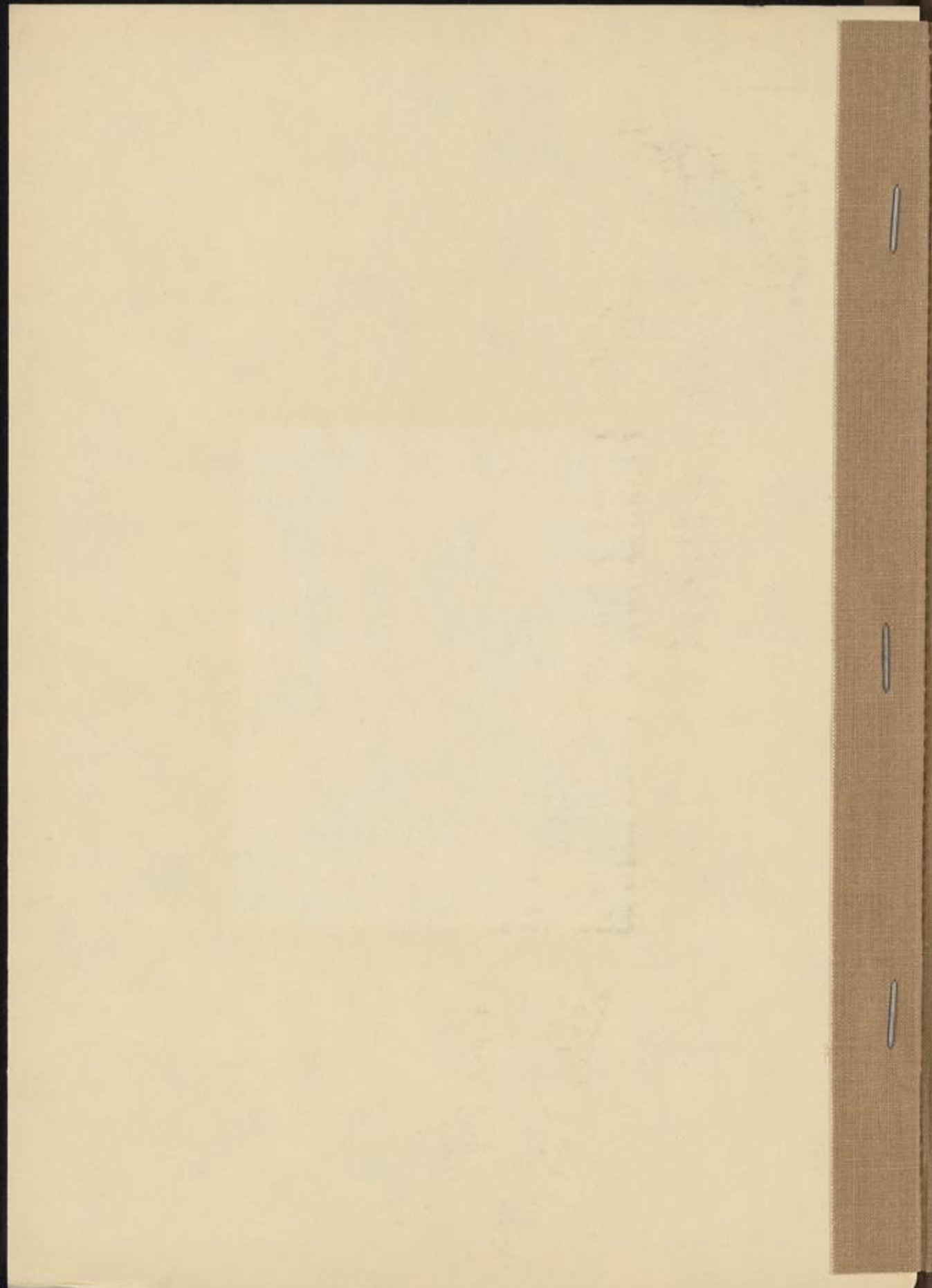


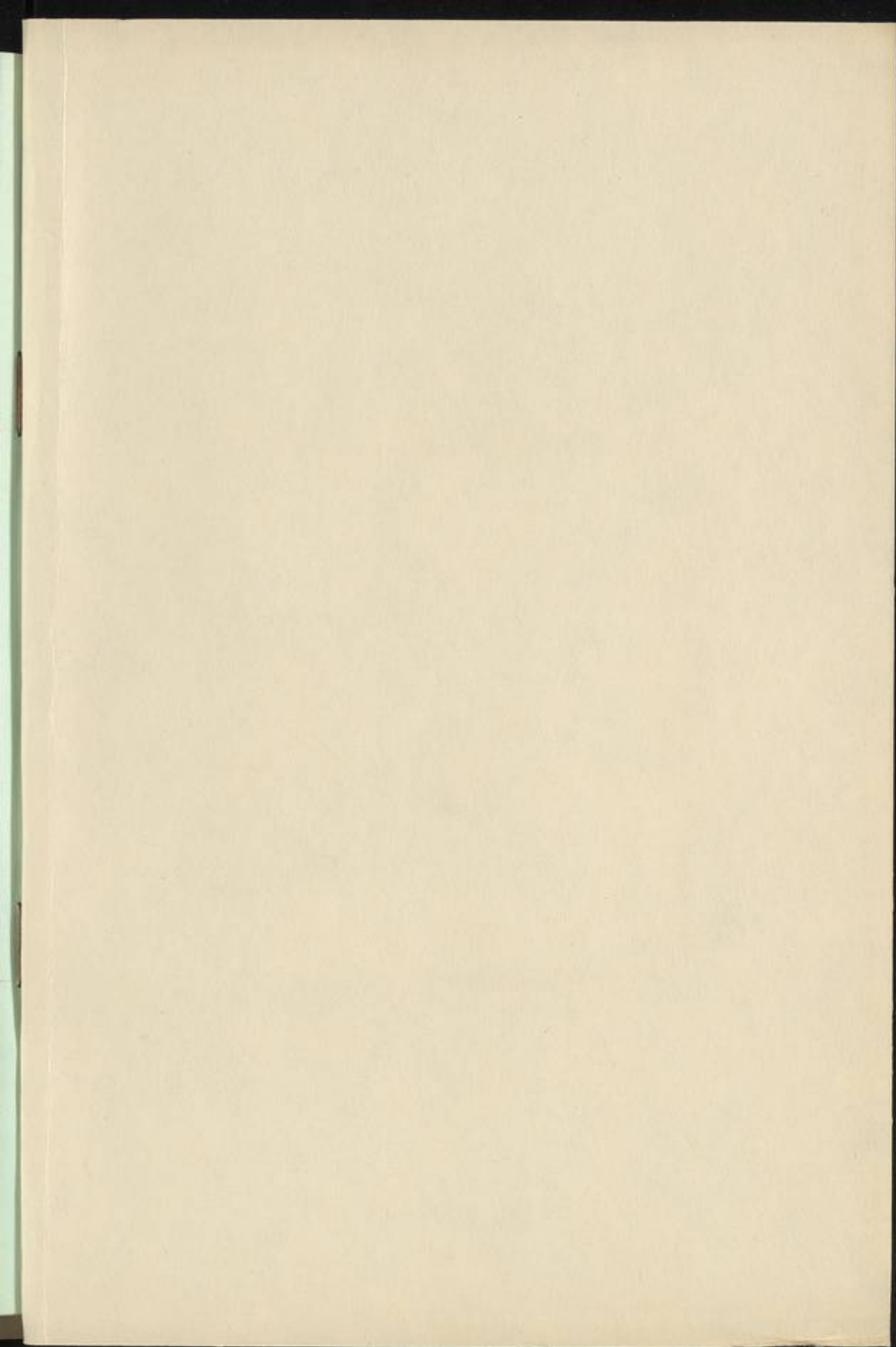
Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY





حياة أقبل الشرايين

هدية
المكتبة المركزية
لمجلس بغداد

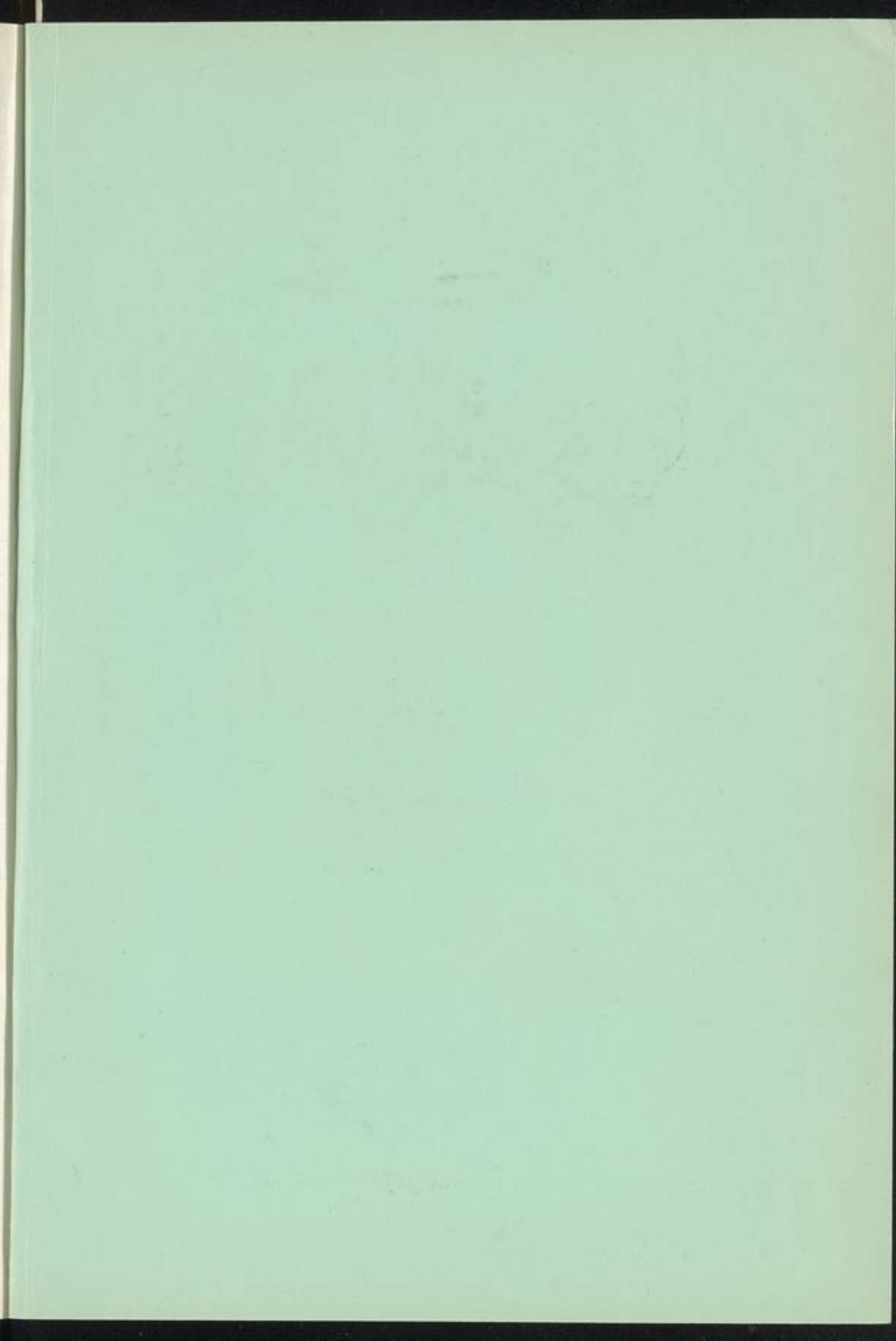
تأليف

ناجى معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد - مطبعة الارشاد

١٩٦٦/٣/١٨



حياة
أقبال الشيخ أبي
سرا

تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد - مطبعة الارشاد

DS
76
.M3

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

مكتبة
المكتبة المركزية
لجامعة بنغازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذا بحث في سيرة أبي الفضائل شرف الدين اقبال الشرايبي أحد رجالات العراق في أواخر الدولة العباسية . وقد كان له أثر فعال في تسيير شؤون الخلافة العباسية في عهد الخليفين العباسيين الاخيرين : المستنصر بالله وابنه المستعصم بالله .

لقد كان اقبال الشرايبي مقدم الجيوش العباسية على عهدهما . وقد دافع التتار وحاربهم خلال ربع قرن من الزمن . ولم يتجرأ المغول على احتلال بغداد وتدميرها في سنة ٦٥٦ هـ الا بعد وفاته بنحو ثلاث سنوات . وكان هذا الشرايبي في الوقت نفسه ، محباً للمعلم وأهله مقرّباً للعلماء ، ولذلك انشأ في العراق مدرستين كبيرتين للشافعية : الأولى ببغداد ، والثانية بواسطة . كما انشأ مدرسة ثالثة للشافعية في الحجاز بمكة المكرمة .

وكان يحب الأفعال الخيرية ولذلك أنشأ بواسطة جامعاً ، وبمكة رباطاً ، وبركاً وحياضاً للماء . وعُني بوجه خاص بعين عرفة لينتفع بها الحاج .

وكانت له غير ذلك ، آثار حسنة ، ومبرات دارّة ، وأعمال خيرية ، وهبات ، وخلع ، ورسوم يفرّقها على الناس شريحتها في فصول هذا الكتاب .

وقد حاولت في هذا البحث أن استخلص صورة واضحة عن العصر الذي عاش فيه شرف الدين اقبال الشرايبي ، وان اشرح نفوذ كلمة المماليك ،

والغرباء في الدولة العباسية ، لاستجلي الأسباب التي أوْدَت بالخِلافة العباسية ، وأدت الى سقوط بغداد ، ونكبتها الدامية المؤلمة ، وزوال حضارتها التي بلغت أَوْجَهَا في كل ناحية من نواحي الحياة •

وقد جعلت الكتاب في ستة فصول ، بحثت في الفصل الاول منها في مصادر تاريخ الشرايبي ومدارسه • وفصّلت القول في عصر الشرايبي ، وسيرته ، ونفوذ كلمته ، وحياته العسكرية ، وأعماله الخيرية في الفصول الأخرى •

ولم ادّخر وسعاً في جمع المعلومات ، والأخبار المتناثرة في الكتب المخطوطة ، والمطبوعة عن اقبال الشرايبي واعماله ببغداد وواسط ومكة •••

وحاولت ألاّ أترك كلمة غامضة ، ولا اصطلاحاً ، الا شرحته شرحاً موجزاً ، أو مفصلاً ليتسكن القارئ من فهم النصوص ، والتعابير المختلفة الواردة في هذه البحوث •

وزيادة في الايضاح ضبطت بالشكل كثيرا من الكلمات والاعلام التي قد يخطأ في قراءتها •

وأخيراً أرجو أن يطلع القراء ، والباحثون على صفحة من تاريخ العراق تكاد تكون مجهولة لدى الكثيرين منا •

والله تعالى من وراء القصد •

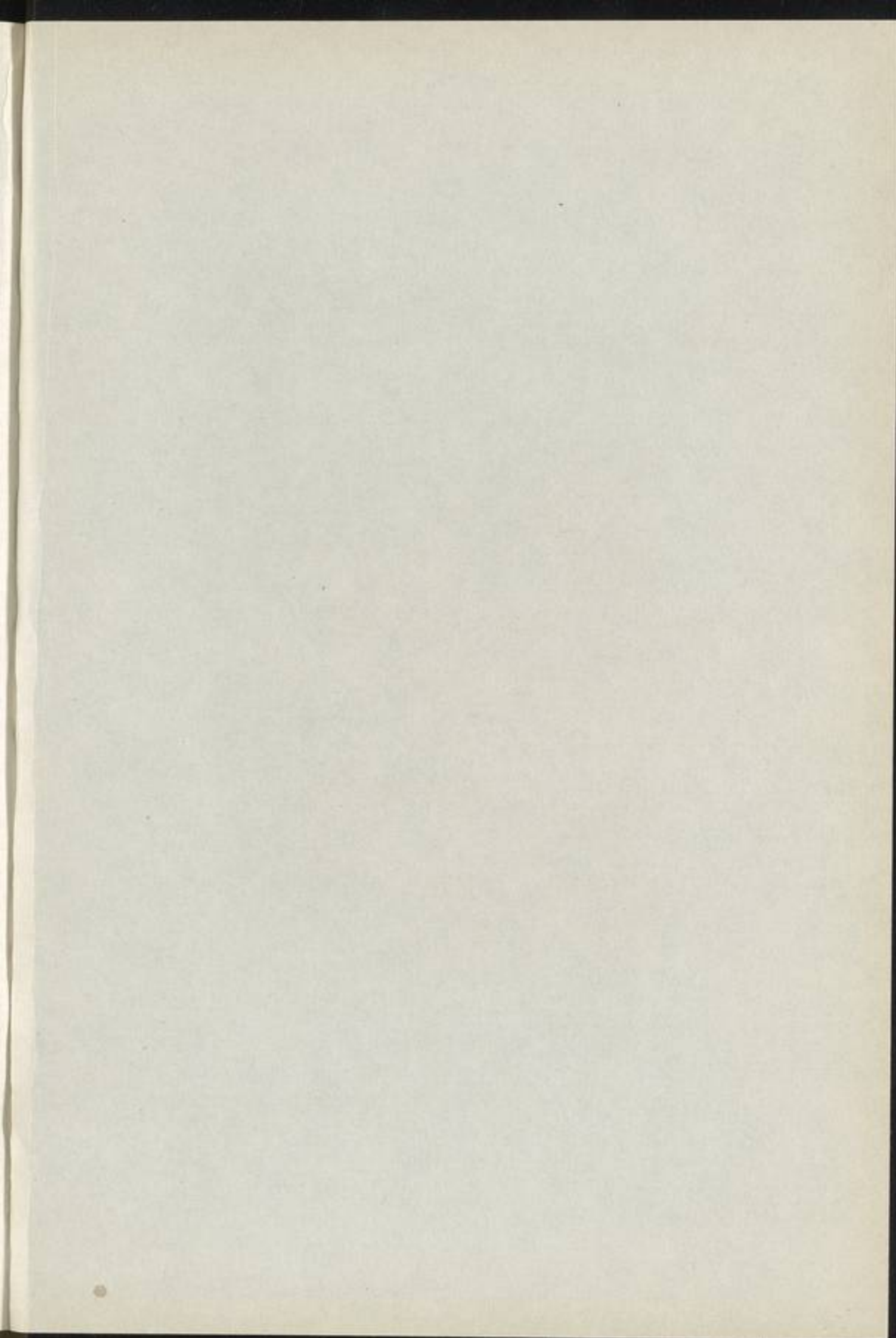
المؤلف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

الفصل الأول

مصادر البحث في تاريخ الشرابي ،



ان الكتب التي بحثت في سيرة شرف الدين اقبال الشرابي ، وفي
مدارسه الشراية ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة ، وفي أعماله الخيرية
المختلفة قليلة جداً ، يمكننا ان نذكرها بايجاز على الوجه الآتي :

١ - الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة ، والتجارب النافعة ، في
المئة السابعة) • وهو أهم مصدر عن حياة أبي الفضائل اقبال الشرابي •
ذلك لانه ذكره في مواطن كثيرة منذ بدء حياته في أوائل القرن السابع
الهجري الى حين وفاته سنة ٦٥٣ هـ • أي قبل سقوط الدولة العباسية بيد
المغول بثلاثة أعوام • كما ذكر مدارسه ، وشرح أعماله الخيرية ، وخدماته
للخليفتين العباسيين الاخيرين : المستنصر بالله ، وابنه المستعصم بالله ، بينما
ذكرته المراجع الاخرى عرضاً وغاية في الاختصار عدا ابن وهاس
الخزرجي الذي أفاض في أخباره في خلافة المستعصم بوجه خاص كما
سننوه بذلك في المصدر الثاني والعشرين من هذا الفصل •

٢ - تلخيص مجمع الآداب ، في معجم الاسماء والالقباب • لابن
الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ بجزئيه الباقيين الرابع والخامس • وما جاء
فيهما عبارة عن ترجمة لأحد خزّان المدرسة الشراية ببغداد^(١) واربع
ترجمات لاربعة من وكلاء الشرابي هم : عون الدين ••• بن سكينه
البغدادى^(٢) • وعزالدين حسين بن عبدوس^(٣) • وعزالدين العكرشي^(٤) •

-
- (١) ج ٥ ص ١٨٢ الترجمة ٣٦٧ •
(٢) ج ٤ ص ٩٨٠ الترجمة ١٤٥٠ •
(٣) ج ٤ ص ١٢٣ •
(٤) ج ٤ ص ١٤٥ •

وعمر الدورقي^(١) ، وترجمة خامسة لعبيدالدين الأزجي الوكيل ، الذي انضم الى الشرايبي في خلافة المستنصر وصار متقدماً السبيل الى مكة^(٢) .

٣ - المقامات الزينية • لابن الصيقل الجزري البغدادي المتوفى سنة ٧٠١هـ وقد ورد فيها ذكر لأحد مدرسي الشرايبي ببغداد ، وهو القاضي نجم الدين القوساني^(٣) الذي سمع المقامات الجزرية ، على منسئها برواق المستنصرية سنة ٦٧٦هـ مع جيلة من علماء بغداد ، ومدرسيها يبلغ عددهم نحو (١٦٠) رجلاً في مجالس عشرة ، بمدة شهرين ويومين .

٤ - اختيارات الاوقات الزمانية للأعمال الكلية • ألفه علي بن عماد الدين المعروف بابن حراز لمكتبة الشرايبي .

٥ - ذيل مرآة الزمان • لقطب الدين السيوني المتوفى سنة ٧٢٦هـ وقد ذكر نفوذ كلمة الشرايبي ، وسعيه في بيعه المستعصم بالله .

٦ - شرح نهج البلاغة • لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٥هـ .

٧ - خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك • لعبدالرحمن ابن ابراهيم الأربلي المتوفى سنة ٧١٧هـ .

وفيه ذكر للشرايبي عندما بايع المستعصم ، وأجلسه على عرش الخلافة ، وخاطبه بأمر المؤمنين .

٨ - الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية • لصفى الدين ابن انقيب تاج الدين المعروف بابن الطقطقي الحسيني المتوفى سنة ٧٠٩هـ . وفيه اشارة الى أن الشرايبي تمكن من فتح إربل بعد وفاة صاحبها مظفر الدين كوكبري .

(١) ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) ج ٤ ص ٩١٨ .

(٣) نسبة الى قوسان : كورة كبيرة بين النعمانية وواسط .

٩ - المختصر في تاريخ البشر • لاسماعيل ابن الملك الافضل المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ • وقد ذكر بيعة المستعصم بالخلافة ، وذكر أن الشرايبي هو الذي قام بها بعد وفاة المستعصم سنة ٦٤٠هـ •

١٠ - البداية والنهاية • لعمادالدين اسماعيل المعروف بابن كثير البصراوي المتوفى سنة ٧٧٤هـ • وفيه ذكر للشرايبي ببغداد •

١١ - الوافي بالوفيات • لصلاحالدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ، في الجزء الاول ، الورقة ٣٥٣ من المخطوطة • وفي ج ١٢ ، الورقة ١٢ منها • وقد ذكر الصفدي فيه مدرساً من مدرسي الشرايبي ببغداد وهو تاجالدين الأرموي الشافعي • كما ذكر في الجزء ١٢ في الورقة ١٢ من هذه المخطوطة صلة الشرايبي بالمؤرخ البغدادي ابن الساعي ، خازن المستنصرية ، وما كان ينفذه اليه من الذهب على مداخحه له •

١٢ - طبقات الشافعية الكبرى • للشيخ تاجالدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقيالدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ • وقد ذكر فيه المستعصم ، وأخاه المعروف بالخفاجي • كما ذكر أن الشرايبي ، والدويدار لم يريا تقليد الخفاجي الأمر خوفاً منه ، ولذلك آثرا عليه المستعصم لتكون لهما الكبرياء •

١٣ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام • للمحافظ تقيالدين الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ • وقد ذكر رباط الشرايبي بمكة والبئر التي فيه ، وما عمره من برك • وذكر أن اسمه باقٍ على بعض تلك البيرك التي لا يزال بعضها موجوداً حتى اليوم •

١٤ - الدارس في تاريخ المدارس لعبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ • وقد نقل فيه ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية عن الشرايبي ببغداد •

١٥ - الإِعلام بأعلام بيت الله الحرام • لقطب الدين الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨هـ • وقد ذكر المدرسة الشرايية بمكة • كما ذكر الرباط الذي آلت اليه المدرسة المذكورة فيما بعد •

١٦ - سُدرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب • لابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ • وفيه اشارة الى المدرسة الشرايية بواسطة ، والشرايية ببغداد ، ورباطه بمكة ، وعيّن عرْفَة التي اشتهر ذكرها في الدنيا •

١٧ - مختصر الدول • لابن العيبري المتوفى سنة ٦٨٥هـ وفيه اشارات مقتضبة عن وصول التتر الى تخوم بغداد ، وتصدى إقبال الشرايى لهم سنة ٦٣٤هـ • كما أن فيه اشارة الى غاراتهم على بغداد في أيام المستصم سنة ٦٤٢هـ •

١٨ - وفيات الاعيان • لشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ • وقد ذكر فيه حصار المغول لمدينة اربل في عهد المستصم سنة ٦٣٤هـ •

١٩ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ • وقد جاء فيه : أن الشرايى كان في جملة من قتل في واقعة بغداد ، مع أن المؤرخين أجمعوا على وفاته حتف أنفه سنة ٦٥٣هـ •

٢٠ - فوات الوفيات • لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ •

٢١ - دول الاسلام للذهبي المتوفى سنة ٧٦٥هـ •

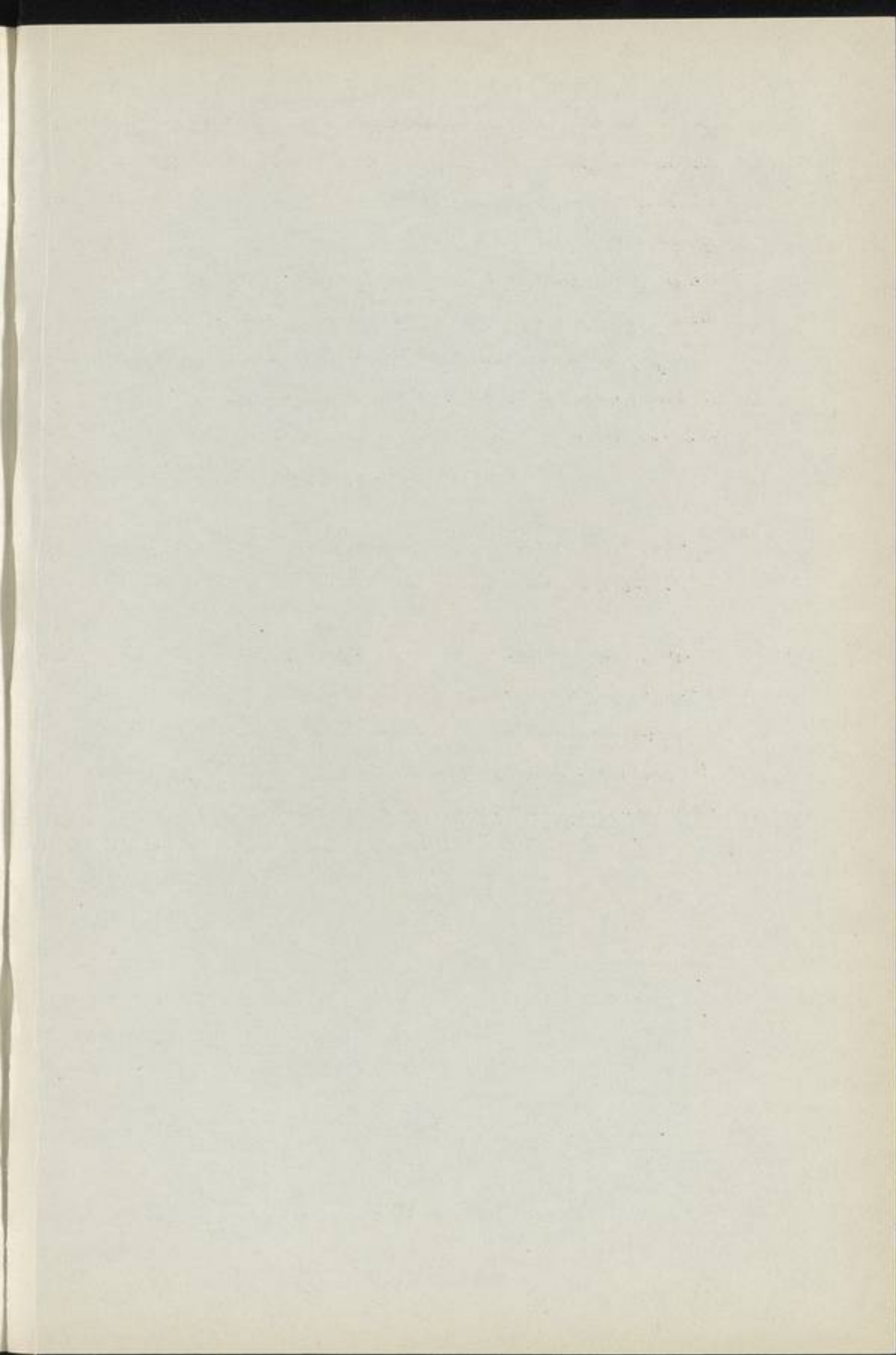
٢٢ - المسجد المسبوك • المنسوب لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ • وفيه أخبار مفصلة عن جهود الشرايى العسكرية في صد غارات المغول عن بغداد ، وعن خدمته لوالدة المستصم بالله في أثناء حجها ، وما انفق عليها ، والخلع التي خلعت على الناس بهذه المناسبة ، وما قام به من مبرآت أخرى • ولذلك فإن ما جاء في كتاب المسجد المسبوك يعد من أصدق الأخبار ، وأصحها • لأنها في الراجع منقولة عن ابن الساعي الذي

ليس بين وفاته وبين سقوط الدولة العباسية سوى ١٨ سنة فقط . وهي تشبه الى حد كبير الأخبار التي ذكرها مؤلف الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » بل تكاد تكون نسخة منها ، وتزيد عليها في بعض التفاصيل . ولاشك في أن أخبار هذين الكتاين منقولة عن مصدر واحد هو ابن الساعي . وكثيراً ما يذكر ابن وهّاس اسم « ابن الخازن » في نقوله ، ويريد به : ابن الساعي المؤرخ البغدادي الشهير . ومن الغريب ان العسجد المسبوك على الرغم من احتوائه على أخبار مفصلة جداً عن الشرايبي أكثر بكثير من كتاب « الحوادث الجامعة » الا أنه لم يشر بكلمة واحدة الى مدارسه الثلاث ، ولا الى جامع واسط ، أو عيّن عرفة ، ورباطه بمكة المكرمة ، بل اكتفى بقوله : « وله آثار حسنة » .

٢٣ - تاريخ الخلفاء للسيوطي : المتوفى سنة ٩١١ هـ . وفيه أن الدويدار والشرايبي أقاما المستعصم لئنه ، وضعف رأيه ليكون لهما الامر .

٢٤ - اتحاف الوري في أخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن فهد . وفيه ذكر لشهاب الدين ریحان الذي بنى له المدرسة الشرايبي بمكة .

٢٥ - مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، لظهير الدين الكازروني . المتوفى في حدود السبعمة من الهجرة . وفيها ذكر للشرايبي ، وتنويه بسلطانه ، وسيطرته ، وتديره للملك . ووصف لكيفية توزيعه المبار ، نيابة عن مولاه الخليفة .



الفصل الثاني

عصر الشرابي ببغداد

من
و
ب

أ

ع
و

و
أ

ان لتأريخ الشرايبي أهمية خاصة ، لانه يوضح لنا صفحة غامضة من تأريخ الدولة العباسية في أواخر أيامها ، لمدة نصف قرن تقريباً .
وسنعتنى بوجه خاص بالفترة التي تبدأ من تأريخ بناء المدرسة الشرايبي ببغداد سنة ٦٢٨هـ . حتى وفاته ٦٥٣هـ .

ان هذه الحقبه تزدهم بصور مختلفة ، وألوان عديدة ، لعل من أهمها :-

١ - سيطرة السلطان الأعجمي على الدولة العباسية حتى بعد القضاء على السلاجقة ، وقيام عصر اليقظة العباسية في زمن الناصر ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم .

٢ - تغلغل نفوذ الخدم ، والمماليك الذين كانوا عند الخلفاء . وهم الذين ينسبون الى كل خليفة من هؤلاء الخلفاء . كالمماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية ، والمستعصمية . وقد كان لهم النفوذ المطلق في الدولة . وفيهم يتمثل النفوذ السياسي والمالي ، والعسكري ، والاداري . ومن أحسن الأمثلة لنفوذهم السياسي بيعة المستعصم بالله . ولنفوذهم المالي والاقتصادي تلك الثروات من النقود ، والعقارات ، والمزارع التي كانوا يمتلكونها . اما النفوذ العسكري ، والاداري فيتجلى في أرباب المناصب ، والقادة في الجيش ، والزعماء ، والأمراء الكبار ، والولاة في المدن والمناطق . وقد ظل هذا النفوذ طويلاً هذه الفترة الى أن آلت الخلافة العباسية الى السقوط بيد المغول بسبب نزاعهم ، وتبذيرهم ثروات البلاد في لهُومهم ، وترفعهم ، وشؤونهم الخاصة . قال ابن جبير : « ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابيش المجاييب ، منهم فتى اسمه « خالص » وهو قائد العسكرية كلها ، ابصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم ، وسواهم . وحوله نحو خمسين سيفاً

مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من امره عجباً في الدهر •
وله القصور والمناظر على دجلة « (١) » •

٣ - إهمال العنصر العربي حيث لم يكن للعرب شأن يذكر لا في الجيش ، ولا في المناصب الادارية ، ولا في الامارات المختلفة • ولا نستطيع أن نذكر الا عدداً ضئيلاً من رجالات العرب الذين شاركوا في مهام الدولة في هذا العصر الى جانب خلفاء بني العباس •

٤ - إهمال العلماء وفقرهم • وسنرى في الصفحات الآتية أن أمراء الجيش ، والقادة ، والخدم ، والماليك الذين كانوا يتبعون بلمال ، هم أصحاب الكلمة النافذة ، والثروة الطائلة ، وأنهم كانوا يحسبون حياة رافهة جداً ، وينفقون ما يشاؤون في هباتهم ، وخلعهم ، وصلاتهم • بينما كان رجال العلم فقراء ليس لهم وكلاء في أملاك ، ولم يحوزوا شيئاً من أرض أو عقار • ولا نستطيع أن نقيس ما كانوا يتقاضونه من مرتبات ضئيلة ، وجرايات قليلة ، بتلك الثروات الخيالية التي كان يمتلكها الخدم ، والماليك من الامراء ، والزعماء • ويكفي أن نذكر فيما يأتي على سبيل المثال ثروة مملوكين اثنين وفرأش واحد :

١ - علاء الدين الطيرس الظاهري • وهو ممن اشتراهم الظاهر • وكان يحصل له من أملاكه التي استجدّها نحو ثلاثمئة ألف دينار • وكانت له دار لم يكن ببغداد مثلها (٢) • وكان صداقه على ابنة بدرالدين لؤلؤ عشرين ألف دينار • ووهب له المستنصر ليلة زفافه مئة ألف دينار • ثم ألحقه بأكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، والمشاد (٣) ، وأقطعته

(١) الرحلة : ص ٢٠٣ طبعة صادر بيروت •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٦٥ • وكانت على شاطئ دجلة وقد سكنها الجائليق بعد احتلال بغداد سنة ٦٥٦هـ ودق الناقوس على اعلاها « الحوادث ص ٣٣٣ » •

(٣) المشاد : جمع مشدة • جاء في السلوك ص ٤٥٢ قوله : « فقدم له فرس اشهب في عنقه مشدة سوداء ، وعليه كنبوش » •

والمشد : نطق تشد المرأة به نفسها •

والشد : شال من الحرير يعتم به ، أو يتمنطق • راجع صبح

الاعشى ٤ : ٨ •

قوسان • وكانت تغل له كل سنة مئتي ألف دينار^(١) •

٢ - مجاهد الدين أيبك الدويدار المستصري • وقد ملك جزيل الأموال من العيّن ، والرقيق ، والدواب ، والعقار ، والبساتين ، والضياح مما يتعذر ضبطه على الحساب • وفي ليلة زفافه نُفِذ إلى داره من أواني الذهب ، والفضة ، والثياب ، والجواهر ما يزيد على ثلاثمئة ألف دينار • وأنعم عليه في صيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجه ثلاثمئة ألف دينار عيناً • إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويتعذر وصفه • وبلغ من الجاه العريض ، والحرمة الوافرة ، حتى انه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخليفة ، وعلى شرف الدين اقبال الشرابي الذي كان مقدم العساكر • ولم يركب إلى أحد سوى الخليفة • وكان في جماعة من أكابر الزعماء ، وأرباب العمائم ، وأصحاب الكؤوسات ، والأعلام يقصدونه في داره خدمة ، وتقرباً إليه • وكان يصل إليه من اقطاعه ، وأملاكه ، ومزارعه أكثر من نصف مليون دينار سنوياً^(٢) •

ويقول عنه أبو الحسن الخزرجي^(٣) ما يأتي : وفي اليوم الرابع من جمادى الآخرة سنة ٦٣٤هـ خلع على مجاهد الدين أيبك الخاص المستصري في الحضرة المقدسة المستصرية ، وقدم له فرس عربي بعدة كاملة ، فقبل حافره • ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً ، محلاة بالذهب • وخرج بين يديه جماعة من خدم الخليفة ، ووجود أرباب الدولة • وقصدوا داره بدرب الدواب • وفي اجتيازه بدرب الدواب نُشِر عليه الذهب في عدة مواضع • وكان وراءه الأعلام المنعم عليه بها ، والطبول ، وأحد عشر حِملاً كؤوسات مجلدة حمراً • وحِمْلان نقارات صفراً • وأحد عشر بوقاً طوالاً وقصاراً تركية •••

والمشدة مرادفة للفضة الرقبة ، وهي : رقبة من اطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الاطلس لتراكم الذهب عليها • تجعل على رقبة الفرس من تحت أذنيه إلى نهاية عرفه •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨١ •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ - ١٥٣ •

وفي عشية هذا اليوم نقل من ديوان الأبنية أحد عشر طبلاً ، واحدى عشرة قسعة ، وزوج صنّج^(١) برسم^(٢) النوبة في الصلوات الثلاث .
ولما دخل داره نشر عليه ألف دينار من بابه الى حيث نزل عن مركوبه .

وفي هذه الليلة وهي ليلة الزفاف ليلة الثلاثاء زفت اليه زوجته . وفي اليوم الخامس من جمادى الآخرة عرضت الهدايا ، والتحف على الأمير مجاهد الدين . وكانت تكون من : الممالك الترك ، والخدم الجبوش ، وأنواع الثياب ، والطيب ، والخيل ، وغير ذلك . قدمها جميع الزعماء ، وأرباب الدولة .

وفي اليوم السابع ركب وبين يديه الجمع الكثير من الممالك ، والأجناد ، والأمراء . ورفع وراءه واحد وعشرون سلاحاً . وقدمت الخيل المجنوبة بين يديه . وشهرت حوله السيوف بأيدي الممالك الترك ، والشاوشية^(٣) بأيديهم الجواكين^(٤) الذهب والفضة . وقصدوا دار الخلافة . ومضى راكباً الى باب الأتراك . ثم نزل هناك الى الرواق

(١) الصنّج ، والصنوج : صفائح مدورة من النحاس يضرب بالواحد على الآخر في أوقات الصلاة ولا تزال مستعملة في أثناء الختان والحفلات الشعبية . وفي الجيش والزواج ، والكشافة وفي الصلاة والعماد عند المسيحيين في العراق .

(٢) يضرب به الطبالون في أوقات الصلوات . وكان في دار الخلافة طبالون يضربون بالطبل في أوقات الصلوات الخمس .
وخيل النوبة : الخيول تربط قرب القصر ويقال للواحدة : فرس النوبة تكون معدة للركوب دوماً .

(٣) مفردها : الشاويش أو الجاويش أو الجاوش . وهم الجنود الذين يسيرون أمام السلطان أو النائب للتطريق أي للنداء وتنبية المارة .

(٤) الجواكين : مفردها جوكان وهو الصولجان الذي يستعمل في لعبة الكرة والصوالة . أي أنه المحجن الذي تضرب به الكرة . ويمكننا ان نعرف الجوكان بأنه عصاً مدهونة طولها نحو أربعة أذرع أي نحو مترين . وبراسها خشبة مخروطية ، تزيد على نصف ذراع . ويسمى الجوكان اليوم في الموصل : جاكون . راجع صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٨ .

العزير فخدم^(١) وعاد متوجهاً الى داره . وفي عشية اليوم المذكور نفذ له ثلاثة رؤوس من الخيل الجياد العربية من اصطبل الخاص^(٢) ، ومركب ذهباً ، وكنبوش^(٣) وغاشية^(٤) السرج زركش . والجميع مرصع بالجواهر المثمنة . فأسرج بذلك السرج على احدى الخيل المنعم بها . وركب في عشية ذلك اليوم . فخدم . وخرج وقت العشاء الآخرة في الأضواء والشموع . واستمر على هذه القاعدة يركب كل يوم بكرة وعشية الى أواخر أيام المستنصر بالله .

٣ - وأما الفراش فهو الصلاح عبدالغني بن فخر المتوفى سنة ٦٤٨هـ . وكان شيخ الفراشين بدار الخلافة . وكان مع خلوه من العلم حسن الملبوس ، ثاقب الرأي ، كثير التعم ، يتشبه بالملوك في ترتيب داره . وكانت داره تشتمل على عسدة حُجر ، في كل حُجرة جارية وخدمة وخدام . ثم رتب لكل جارية شغلا . فواحدة طعامية وشرايية . وأخرى فراشية ، وأخرى غسلية . وأخرى طباحة . الى غير ذلك^(٥) .

(١) خدم : مثل بين يدي كبير من الكبراء .

(٢) اصطبل الخاص أي الاصطبل الخاص بخيل الخليفة . ويطلق عليه أيضاً « آخور » وهو بالفرنسية Ecurie .

(٣) الكنبوش : كلمة فارسية معناها : البرذعة توضع تحت سرج الفرس . ويستتر بها مؤخر ظهر الحصان وكفله . وتتخذ من الذهب المزركش ، ومنها المزهرة بالريش وغير المزهرة . راجع صبح الاعشى ٤ : ١٢ قال في الحوادث الجامعة : أمطاه المستنصر فرساً بمركب ذهباً ، وكنبوش ابريسماً .

(٤) الغاشية : لافتة من القماش الفاخر المزركش تمسك من طرفيها . وترفع منشورة بين يدي الفارس اذا مشى . وربما وضعت على صدر الفرس . جاء في الحوادث الجامعة ص ٢١٤ . وتكون البسملة بين يديه . وفي المنتظم ١٠ : ٤٦ ، ٤٨ : وعلى كتفه الغاشية . وفي ص ٢٠ ، ٤٧ : وتحمل له الغاشية بين يديه . وفي صبح الاعشى ج ٤ ص ٧ - ٨ ان الغاشية أيضاً غاشية السرج . وتكون من أديم أي جلد ، مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب . تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب ، يحملها الركاب دار رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا . (٥) المسجد المسبوك الورقة ١٧٨ . والحوادث الجامعة ص ٢٥١ .

واليك بعض التفاصيل لما أوجزناه عن هذا العصر الذي كان يعيش فيه أقبال الشرايبي . فمن الناحية السياسية لم يكن لأولاد الخلفاء ، أو عموماتهم ، أو اخوانهم نفوذ يذكر في الدولة ، وانما كان يؤتى بهم من « دار الشجرة » التي كانوا يقيمون فيها ليبيعوا الخليفة الذي نصبونه رغم انوفهم ، كما حدث في بيعه المستنصر وفي بيعه المستعصم بالله^(١) .

ومن الناحية المالية كانت الثروة كما أسلفنا بيد الخدم ، والماليك . ولم يستفد منها أولاد الخلفاء ، ولا بنو هاشم عباسيين أم علويين . فقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة : أنه زييد في دور الضيافة في شهر رمضان سنة ٦٣٠هـ داران احدهما بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة ، والاخرى بخربة ابن جرادة للفقراء الهاشميين^(٢) . ويذكر ابن وهّاس في حوادث سنة ٦٤١هـ انه فتحت دار الضيافة بالمشهد الكاظمي لأجل العلويين المقيمين به . وداران بالجانب الشرقي ، والجانب الغربي ، للفقراء العباسيين . ودار بصحن السلام من دار الخلافة لأجل الساكنين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء^(٣) .

ومن هذا القبيل ما جاء في المسجد المسبوك^(٤) عن الفقراء العباسيين ، والطلبيين . ففي يوم الخميس ١٧ ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ برز من الخليفة المستنصر من خالص مال الطَّبَّق^(٥) ثمانية آلاف دينار ، سلمت الى الوزير ، وأمر بتفريقها على جهات معينة . فألف دينار للفقراء العباسيين ، وألف دينار للفقراء الطالبيين ، وألف لفقراء مشهد الحسين . وألف للفقراء المقيمين على تربة الامام أحمد بن حنبل ، وقبر الشيخ معروف

(١) خلاصة الذهب ص ٢١٣ و ص ٢١٤ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤٤ .

(٣) المسجد المسبوك الورقة ١٦٢ .

(٤) المسجد المسبوك الورقة ١٥١ .

(٥) الطبق : ما يقدم في دور الضيافة من طعام . وكان الخليفة المستنصر قد استخرج له نهرا من دجيل ووقفه على آدر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفظور الفقراء في شهر رمضان . راجع مرصدا الاطلاع ج ٢ : ص ٤٧٢ طبعة بريل .

الكرخي • وأُنف للشرفاء المقيمين بدار الشجرة من دار الخلافة • وألفان للفقراء المجاورين في مشهد الامام علي بن أبي طالب (رض).

وكان مدرسو المستنصرية في هذا العصر مثلاً - وهم من أكبر علماء بغداد بوصفهم يدرسون في أكبر جامعة اسلامية فيها - لا يتقاضى الواحد منهم أكثر من (١٢) ديناراً شهرياً •

وكان ما يتقاضاه الخُزّان العظام في المستنصرية كابن الساعي ، وابن الفوطي وهما من كبار مؤرخي العراق لا يزيد على (عشرة دنانير) في الشهر • بينما نجد أن :

٤٠٠٠ دينار ينثرها خادم للشرابي على مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير عند زواجه من ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وذلك عندما اجتاز باب البدرية ، حيث دار الشرابي ، وديوانه^(١) • وذلك عدا ما نثر عليه في عدة مواضع أخرى • ونجد أن :

٢٠٠٠ دينار نثر على طير اتسب للشرابي •

و٣٠٠٠ دينار أعطها الشرابي الى الاشخاص الثلاثة الذين أتوا بهذا الطائر من الموصل^(٢) •

و١٠٠٠٠ دينار نثرت على طائر أيضاً^(٣) •

و١٠٠٠٠ دينار اخرى نثرت على طائر آخر^(٤) •

بينما نُثر ١٠٠٠ دينار و ١٠٠٠ درهم عليها اسم الخليفة المستعصم لما بويغ^(٥) بالخلافة • وأُرسِل الى كل من جامع المنصور ، وجامع المهدي بالرصافة ، وجامع السلطان ، وجامع فخرالدولة بن المطلب ، وجامع بهليقا^(٦) ٥٠٠ دينار و ٥٠٠ درهم فقط بهذه المناسبة •

(١) الحوادث ص ٩٣ ، ٥٠ •

(٢) الحوادث ص ٩٦ •

(٣) الحوادث ص ١٠٤ •

(٤) الحوادث ص ١٤٣ •

(٥) الحوادث ص ١٦٤ •

(٦) الحوادث ص ١٦٤ والجامعان الاخيران هما من جوامع الجانب

الغربي • راجع المسجد المسبوك الورقة ١٧٥ •

ولم تكن للمدرسين الكبار منزلة اجتماعية مرموقة ، كذلك التي كانت للمماليك ، والأمراء من الخدم . فقد كان كل واحد من المدرسين أو القضاة مثلا يُعطى بغلة بعدة كاملة . بينما كان الأمراء المذكورون يُعطون الخيول المُطَهَّمة بُدتها الكاملة^(١) . وتشهر لهم الأعلام ، والسيوف ، والسناجق المذهبة اذا ركبوا^(٢) . وتغدق عليهم الأموال الوفيرة .

نذكر على سبيل المثال ان كشلوخان بن أيبك الدويدار الصغير استدعي في سادس شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٠هـ الى دار الوزير وكان عمره يومئذ تسع سنوات . وشرف بالأمانة . وخلع عليه . وأعطى فرساً بمركب ذهباً ، وغاشية حمراء . ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن ، سوى ما أحضر له من دار أبيه من السيوف والدرابشات . وتوجه الى داره في جمع عظيم . ونثر عليه ذهب في عدة مواضع^(٣) .

وان أباه مجاهد الدين أيبك الخاص المستصري ركب في يوم الاربعاء غرة شوال أي في أول يوم من عيد الفطر سنة ٦٤٥هـ بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع وكان بين يديه الجنب العربيات بالسروج الذهب ، متاً فرس عليها متناً مملوك^(٤) .

وجاء في العسجد المسبوك^(٥) : ان الأميرين سيف الدين عبدالله وعلاء الدين عبدالله ابني الأمير قيران الظاهري بذلا في شهر رجب سنة ٦٥٢هـ عشرين ألف دينار على أن يجعلوا من أرباب الدرباشات والغواشي المرفوعة . وأن يجعل معيشة كل واحد منهما أربعة آلاف دينار في كل سنة فأجيبا الى ذلك .

-
- (١) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٢ والحوادث الجامعة ص ٨١ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٦٧ والسناجق : ريات صفر صفار . راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ .
(٣) العسجد المسبوك الورقة ١٨٠ . والدرباشات : مفردها درباشة وتستعمل في العراق اليوم بمعنى صفاح من الحديد كالقضبان .
(٤) العسجد المسبوك الورقة ١٧٢ .
(٥) الورقة ١٨٤ .

ان أرباب المناصب ، والولايات ، والأمراء الكبار ، وقادة الجيش كانوا كلهم تقريباً من المماليك والخدم ، ممن كانوا يحملون ألقاباً ، وأسماء لا تمت الى العربية بصلة . ونستطيع أن تبين مدى تغفل نفوذ هؤلاء المماليك ، والخدم الذين كانوا يبتاعون لجمالهم ، وحسن صورهم ، وهيف قدودهم^(١) وزرقة عيونهم ، ليصبحوا بعد لأي سادة البلاد . وعلى الرغم من أنهم جميعاً اضيفت أسماؤهم الى « الدين » فاننا نلاحظ ضعف الوازع الديني ، والمخالفات الدينية الصريحة . فقد جاء في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٠هـ^(٢) ما يأتي : « وفيها اتصل خروج الموكب في عيد الفطر الى الليل . وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء ولم يذكر سبب ذلك » . وذكر في المسجد المسبوك أن العساكر في عاشر ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ ، خرجوا الى ظاهر البلد وصلّوا صلاة العيد وقت غروب الشمس . كما صلّوا صلاة عيد الفطر قريباً من ثلث الليل^(٣) ، وذلك في أول شوال من سنة ٦٤٢هـ وكان قد خرج موكب الخليفة في الأضواء والشموع . وأما تقبيل الأرض بحضرة الخليفة مرات عديدة فمن الأمور المألوفة ، وكذلك تقبيل اليد وعتبة باب النبي ، وحافر الخيل ، والأرض والرغام .

واليك على سبيل المثال قائمة بأسماء ثلاثين من كبار الأمراء وجملة الزعماء الذين كان بعضهم من أرباب العمائم والكوسات :-

١ - الأمير أقباش الذي اشتراه الخليفة الناصر لدين الله بـ ١٥ ألف دينار وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يكن بالعراق أجمل منه صورة^(٤) .

٢ - الأمير ايتغدي الناصري التستري التركي : أهدها الأمير مظفر الدين وجه السبع الى سنقر بن عبدالله من خوزستان وجعل أميراً سنة ٦٤٩هـ^(٥) .

(١) الحوادث ص ١٧ .

(٢) ص ١٨٠ .

(٣) المسجد المسبوك الورقة ١٦٩ ، ١٧٢ .

(٤) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ والحوادث الجامعة ص ١٧ .

(٥) التلخيص ج ٤ ص ٦٩٦ .

٣ - شمس الدين أعلان تكين الظاهري زعيم بلاد خوزستان^(١)
وأمير الحج •

٤ - بدر الدين آيدُ غَمَشُ زعيم العراق^(٢) •

٥ - كيكلدي بن قرغوي الناصري وهو من كبار الزعماء^(٣) •

٦ - علاء الدين الطيرس الظاهري • وهو الدويدار الكبير المتوفى
سنة ٦٥٠هـ^(٤) اشترى الخليفة الظاهر • وأصبح من أكابر الزعماء ،
وأرباب العمائم ، والشاد • خلع على مماليكه وخدمه ١٧٠٠ خلعاً وذلك
في شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ •

٧ - شهاب الدين سليمان شاه بن برجم^(٥) قتل صبوا في واقعة بغداد
سنة ٦٥٦هـ •

٨ - نور الدين ايلدكز زعيم تكريت^(٦) •

٩ - قطب الدين سنجر السُنُقُرِي المستصري^(٧) وهو سنجر
الباغر^(٨) •

١٠ - الأمير علاء الدين أبو شجاع الدكز الناصري المعروف بطاز
شحنة بغداد المتوفى سنة ٦٤٥هـ • وكان أميراً كبيراً وزعيماً جليلاً^(٩) •
١١ - ارغش الناصري الرومي^(١٠) •
١٢ - بهاء الدين أرغش المستجدي^(١١) •

(١) الحوادث ١٦٨ ، ١٠٠ ، ١٢٨ •

والزعيم كمتصرف اللواء في العراق اليوم •

(٢) الحوادث ١٤٢ ، ١٥٠ •

(٣) الحوادث ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٧٤ •

(٤) المسجد المسبوك • الورقة ١٨١ والحوادث ص ١٦٦ •

(٥) المسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ والحوادث ص ١٦٧ •

(٦) الحوادث ص ١٦٨ • وقد رسم الاسم في الحوادث الجامعة

« الدكز » ج ٤ ص ١٠٠٤ •

(٧) الحوادث ص ١٦٨ •

(٨) الحوادث ص ١٩٦ • وقد تكتب بالباء الموحدة •

(٩) المسجد المسبوك • الورقة ١٧١ والحوادث ص ٤٥ •

(١٠) الحوادث ص ٥٠ ، ٤٥ •

(١١) الحوادث ص ١٣٢ •

- ١٣ - الأمير شمس الدين أبو المكارم قيران الظاهري المتوفى سنة ٦٤٥هـ وكان من أعيان الأمراء ، وأكابر الزعماء^(١) .
- ١٤ - مظفر الدين بهنام الرومي الناصري زعيم تُستَر^(٢) .
- ١٥ - الأمير عز الدين قيصر الظاهري^(٣) .
- ١٦ - الأمير بدر الدين سنقرجه أمير آخور الخليفة^(٤) وزعيم خوزستان^(٥) .
- ١٧ - كركر الناصري^(٦) ويرد الاسم أيضاً على صورة غرغر ، وقزقر .
- ١٨ - جمال الدين قشتمر الناصري ، الظاهري ، ثم المستصري المتوفى سنة ٦٣٧هـ . كان شيخ الأمراء ، ومقدم الزعماء^(٧) .
- ١٩ - جمال الدين بكلك الناصري^(٨) .
- ٢٠ - شمس الدين علي بن سُنْقَرُ الطويل^(٩) .
- ٢١ - الأمير فلك الدين محمد بن سُنْقَرُ الطويل^(١٠) .
- ٢٢ - مجاهد الدين أيبك المستصري وهو الدويدار الصغير^(١١) قتل صبراً بسيف الترس سنة ٦٥٦هـ بعد أن أصبح له جاه عريض .

- (١) المسجد المسبوك . الورقة ١٧١ والحوادث ص ١٦٧ ، ٥٣ .
- (٢) الحوادث ص ٦٠ والتلخيص ٤ : ١٠٠٤ .
- (٣) الحوادث ص ٩٢ .
- (٤) الحوادث ص ٩٢ . والآخور : الاصطبل أو المعلق . وأمير الاصطبل : يكون دونه عدد من الافراد والجنود . وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب ، وأمر ما فيه من الخيل والابل وغيرها مما يعوذ أمره الى الاصطبلات (راجع صبح الاعشى ٤ : ١٩ و ٥ : ٤٦٠ - ٤٦١) .
- (٥) الحوادث ص ١٦٨ .
- (٦) الحوادث ص ١١٠ .
- (٧) المسجد المسبوك . الورقة ١٥٨ والحوادث ص ١٠٤ ، ١١٠ .
- (٨) الحوادث ص ٤٤ ، ١١١ .
- (٩) الحوادث ص ٢١ ، ٧٢ .
- (١٠) الحوادث ص ١٤ .
- (١١) المسجد المسبوك . الورقة ١٥٢ - ١٥٣ و ١٩٢ والحوادث ص ٧٢ .

- ٢٣ - الأمير نصره الدين أرسلان الناصري (١) .
- ٢٤ - عز الدين أبقرا شحنة بغداد الذي قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ (٢) .
- ٢٥ - الأمير أبو المظفر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري المتوفى سنة ٦٤٠هـ وهو مملوك عائشة بنت الخليفة المستنجد المعروفة بالفيروزجية . أقام بتكرت مدة . وسلّمت إليه البصرة ، فأقام بها ٢٣ سنة . وتولى إبريل سنة ٦٣٠هـ وحكمها باسم المستنصر (٣) .
- ٢٦ - الأمير أمين الدين كافور الظاهري (٤) وهو من أخص خدم دار الخلافة .

- ٢٧ - مرشد الهندي الخصي . وقد ولاء المستنصر قيادة الجيوش بعد وفاة الشرايبي سنة ٦٥٣هـ (٥) .
- ٢٨ - آرتغر العراقي (٦) .
- ٢٩ - الأمير كشلوخان بن مجاهد الدين أيبك المستنصري (٧) .
- ٣٠ - زنكي ابن الأمير محمد بن قيران (٨) .

وقد تميز هذا العصر بكثرة المصادرات ، وتفشي الرشوة ، وعزل كبار الموظفين ، واتقاء القبض عليهم ، وبيع ممتلكاتهم ، وتفاقم أمر الباطنية ، والشطّار ، والعيّارين ، واشتداد النزاع الطائفي ، وكوارث الفيضانات والفرق ، والتفكك الخلقي . والانصراف الى الملاهي ، واتقيان والتكاثر في الأموال .

لقد كان المستنصر بالله عفيف الفرج ، لم ينقل عنه أنه عصى الله

-
- (١) الحوادث ص ١٣٨ .
- (٢) الحوادث ص ٣٢٨ .
- (٣) المسجد المسبوك . الورقة ١٦١ والحوادث ص ١١١ ، ١٨١ .
- (٤) الحوادث ص ٢٩٩ - ٣٠٠ و ص ٢٨ .
- (٥) المسجد المسبوك . الورقة ١٩٠ والحوادث ص ٣٢٠ .
- التلخيص ٣٥٧ .
- (٦) الحوادث ص ٢٨ .
- (٧) المسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .
- (٨) المسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

بفمه ولا بفرجه ولا شرب مسكراً • ولا أدخل بصيام الأثنين ، والخميس
من كل شهر • وكان يصوم شهر رجب من كل سنة الى أن فارق الدنيا •
وكان يحفظ القرآن مواظباً على الصلوات في أوقاتها •

ومما يدل على عفته حادثته مع المغنيسة البغدادية « لحاظ » وهي
مشهورة ذكرها مغنيه صفى الدين الأرموي^(١) قال : « حدثني لحاظ »
قالت : داعبني الخليفة يوماً ونحن في خلوة مداعبة ، وظننت أنه يريد مني
بعض الأمر ، فظهر له مني ما يدل على الاجابة فتوقّر وقال : ويلك ظننت
أني جادٌ • وهل ترين الا المزاج ، نعوذ بالله من المعصية •

إلا ان المستعصم فيما يظهر لم يكن بصيراً بتدبير الملك ، وكلّ اموره
الكليات الى غير الاكفاء^(٢) • ولم ينفع الناس انصراف القليل منهم الى العلم ،
والدراسة في المدارس أو التزهّد والانقطاع الى الله تعالى في الرُبط ، والمساجد
حتى وقعت الواقعة ببغداد سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م فقضت على الجميع^(٣) •

قال قطب الدين الحنفي النهروالي يصف أهل بغداد في زمن
المستعصم : « ••• مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد ، في
ظل نخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب فما
كابدوا حرباً ، ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً ••• »^(٤) •

وقال أبو الحسن الخزرجي يصف أهل العراق يومئذ : « واهتموا
بالأقطاعات ، والمكاسب • وأهملوا النظر في المصالح الكلية • واشتغلوا بما
لا يجوز من الأمور الدنيوية • واشتد ظلم العمال • واشتغلوا بتحصيل
الأموال • والمملك قد يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم »^(٥) •

(١) راجع ترجمة صفى الدين الأرموي في كتابنا « تاريخ علماء المستنصرية » •

(٢) خلاصة الذهب ص ٢١٥ •

(٣) لاحظ ذلك في الصفحات الآتية : ١٩٧ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ،

٣٦٦ ، ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، من كتاب الحوادث • والورقة ١٧٨

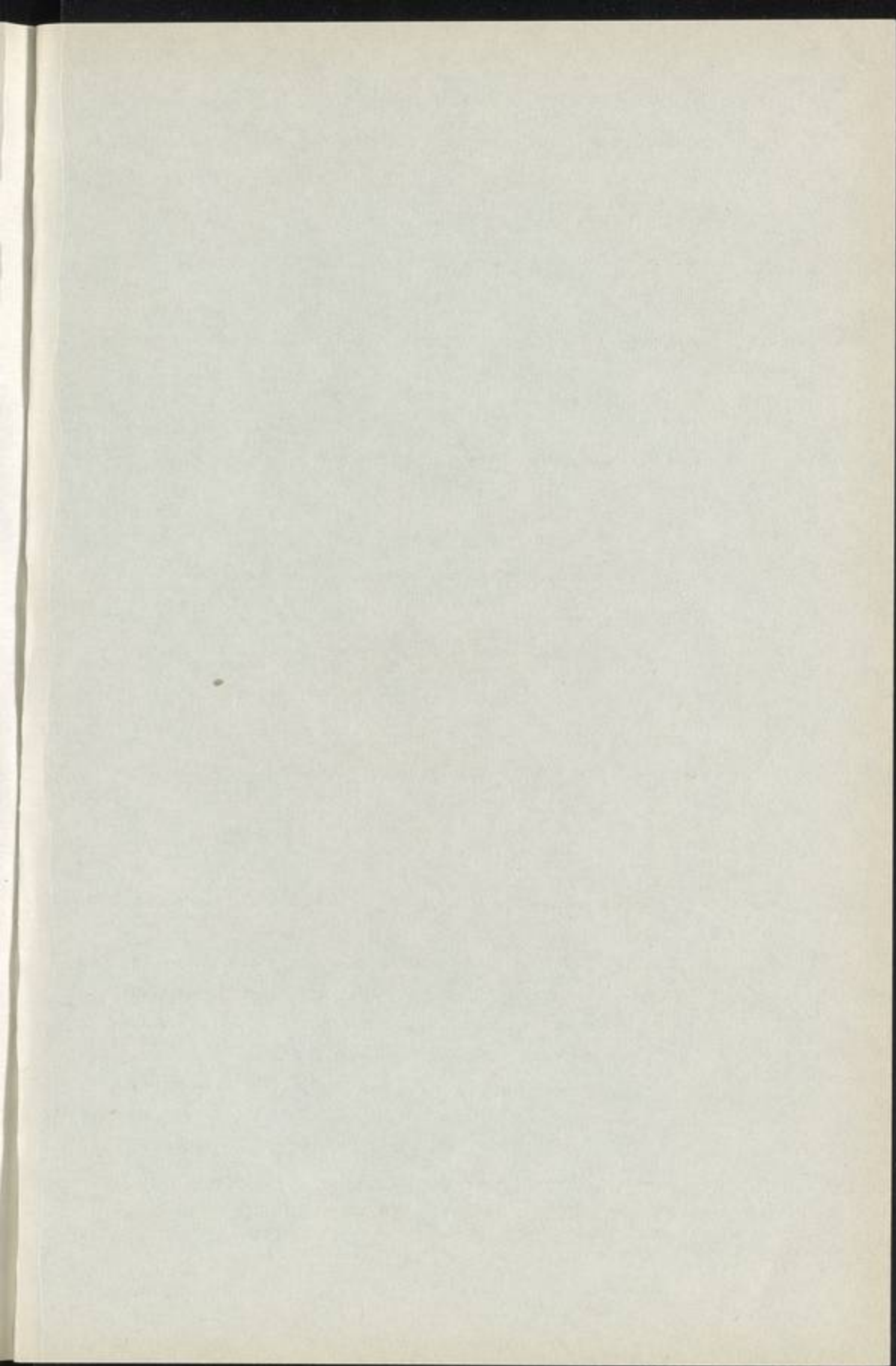
من المسجد المسبوك عن العيارين • وعن المستعصم • الورقة : ١٩١ •

(٤) الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٨٠ الطبعة الاوربية •

(٥) المسجد المسبوك • الورقة ١٩٠ • لاحظ القصيدة التي يوردها

ابن وهاس في الورقة ١٩٠ ومؤلف الحوادث ص ٣٢١ وقد حذر فيها منشدها
وانذر • ومطلعها :

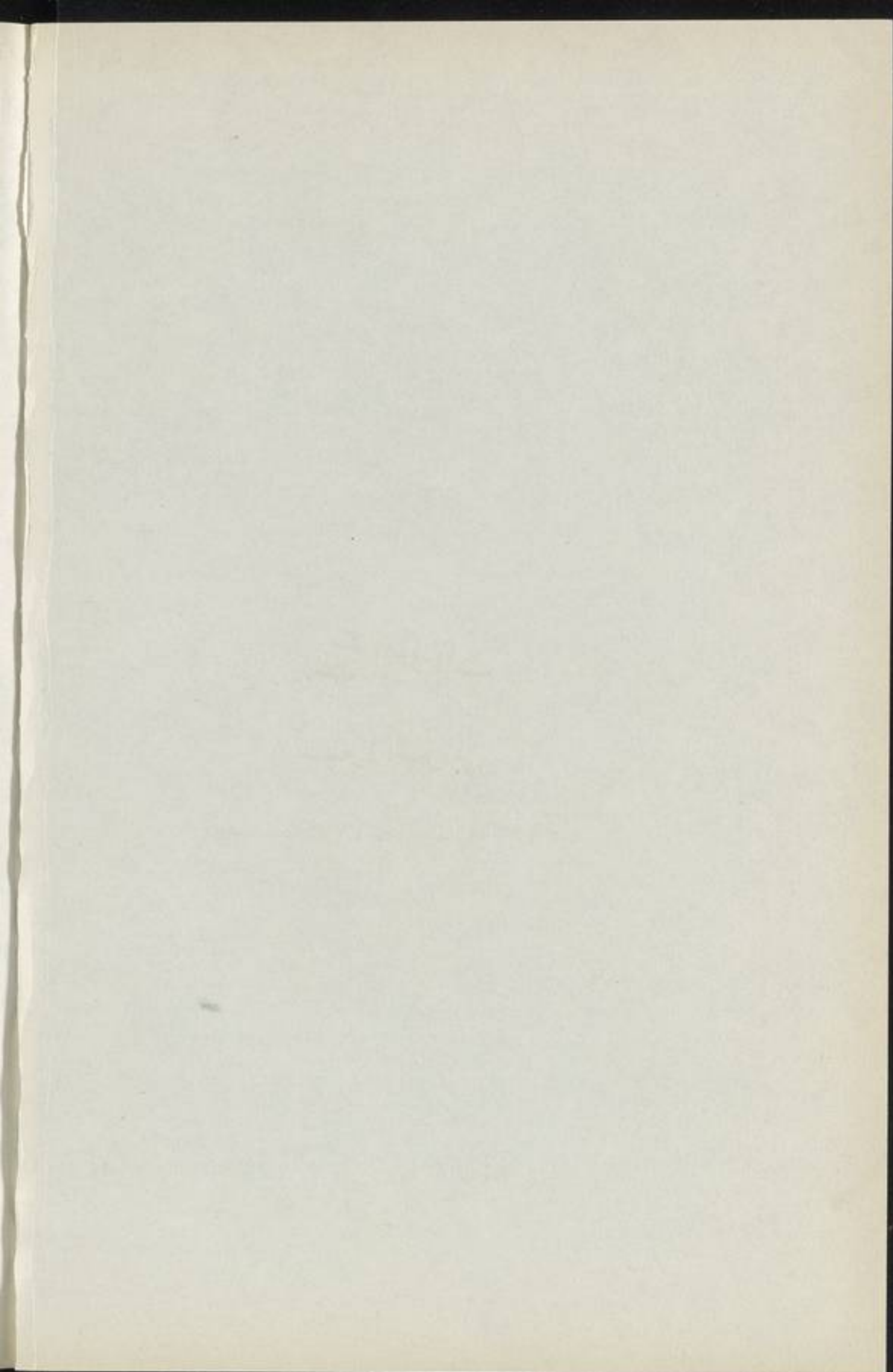
يا سائلي ولمحض الخير يرتاد اصخ فعندي نشدان وانشاد



الفصل الثالث

سيرة الشرابي

بين سنة ٦١٥ هـ وسنة ٦٥٣ هـ



لقد سطع نجم أقبال الشرايبي في خلافة المستنصر بالله • وظل نفوذه في ازدياد حتى بلغ الذروة عند وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ • وأصبحت له السيادة التامة في خلافة المستعصم بالله • ولذلك حفلت سيرته بشيء كثير من أمور الدولة العباسية في أواخر أيامها ، في شؤونها العسكرية ، وأحوالها السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية • وهي تطلعا في الوقت نفسه على الرسوم ، والتقاليد ، والقواعد التي كانت تتبع ببغداد • وسنتناول في هذا البحث كل ما له مساس بحياة أقبال الشرايبي منذ نشأته حتى وفاته سنة ٦٥٣هـ •

١ - الشرايبي في صباه :

لقد ذكر جميع المؤرخين الذين ترجموا للشرايبي أنه : شرف الدين أبو الفضائل ، أقبال الشرايبي^(١) • أو الأمير شرف الدين أقبال الشرايبي ، المستنصري ، العباسي^(٢) • أو شرف الدين أقبال الشرايبي ، المستنصري^(٣) • أو أقبال الشرايبي^(٤) • أو الخادم أقبال الشرايبي^(٥) • أو شرف الدين أبو

(١) الحوادث الجامعة ص ٣١٠ - ٣١١ • وقد ورد ذكره كثيرا في الكتاب المذكور • والبداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦١ • والفخري ص ٢٦٧ •

(٢) الاعلام ص ١٦٠ • وشفاء الغرام ج ١ ص : ٣٣١ •

(٣) خلاصة الذهب المسبوك ص ٣١٤ وشفاء الغرام ج ١ : ٣٤٠ •

(٤) المدارس ج ١ : ١٥٩ • والشذرات ج ٥ : ٢٦١ •

(٥) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥١ •

الفضائل أقبال الخادم الحبشي المستصصري^(١) أو الشرايبي فقط^(٢) أو
الخاص أقبال الشرايبي^(٣) . أو الاستاذ شرف الدين أقبال الشرايبي المستصصري
المستعصمي^(٤) .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا تأريخ ولادة أقبال الشرايبي بل
ذكرت تأريخ وفاته فقط . على أن صاحب الكتاب المظنون أنه « الحوادث
الجامعة » ذكر أن هذا الشرايبي كان أولاً لعزالدين نجاح الشرايبي^(٥)
ثم انتقل الى زوجته بعد وفاته . فاذا علمنا أن هذا عزالدين الشرايبي توفي
سنة خمس عشرة وستمئة أدركنا أنه كان يومئذ صغيراً بديل انه لما أفضت
الخلافة الى الظاهر بن الناصر سنة ٦٢٢ هـ أي بعد سبع سنوات من وفاة
عزالدين نجاح ، حملته زوجته الى الخليفة الظاهر فقبله فأبعده عنه
رشيق^(٦) وأنفذه الى ولده المستنصر . فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟
فقال : إقبال . فسُرَّ المستنصر بذلك ، واستبشر ، وتفاءل به .

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٤٠ .

(٢) الشذرات ٥ : ١٦١ .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٧ .

(٥) كان عزالدين يعرف بنجم الدولة . ويسمى « سلمان دار الخلافة »
ويكنى أبا اليمن نجاح بن عبدالله التركي ، الشرايبي ، الناصري . ويلقب
بالمملك الرحيم . وقد جعله الناصر لدين الله أميراً لجيوشه . وكان في داره
خزانة كتب وقفت بعد موته . وذكر سبط ابن الجوزي انها كانت (٥٠٠)
مجلدة وقفها في تربة ام الخليفة الناصر لدين الله . وكتب عليها اسم
الشرايبي . ولما توفي دفن في تربة أم الناصر . راجع ترجمته في الكامل ،
ومجمع الآداب ، والمرآة ، والذهبي .

(٦) لعله تاج الدين رشيق ، خادم الناصر لدين الله ، فقد ذكر سبط
ابن الجوزي في « مرآة الزمان » ج ٨ ص ٦٣٥ وابن العبري في كتابه
« تاريخ مختصر الدول » ص ٤٢١ أن الناصر فقد بصره في أواخر أيامه .
ولما عجز عن النظر فيما يقدم له ، من مطالعات تخص امور الدولة ، استحضر
امراً من النساء البغداديات تعرف بـ (ست نسيم) وقربها ، وكانت
تكتب خطاً قريباً من خطه . وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة . وشاركها
في ذلك خادم اسمه « تاج الدين رشيق » . وفي الحوادث ص ٩٧ « ست
شمائل » واسمها : شجرة الدر التركية . بدلا من « ست نسيم » .

ولما أفضت الخلافة الى المستنصر بالله سنة ٦٢٣هـ قرب إقبالاً اليه •
وقبض على رشيق ، وجبسه • وجعل إقبالاً شرابياً عنده •
وقد أغفلت جميع المصادر الاشارة الى أصل الشرابي الا ابن وهناس
الخزرجي فقد ذكر أنه حبشي ، وذلك في أثناء كلامه على بيعة المستنصر
قال : « وأمر على جيوشه ، وعساكره مولاه شرف الدين أبا الفضائل
إقبال الخادم الحبشي المستنصري »^(١) كما ان هذه المصادر جميعها لم تذكر
اسم أبيه الا مؤلف « اتحاف الورى في أخبار أم القرى » فقد ذكر في
حوادث سنة ٦٤١هـ انه اقبال بن عبدالله الشرابي المستنصري العباسي •
والشرابي يكون من أكابر الأمرء المؤمنين • وله مكانة رفيعة • كما
يكون تحت يده غلمان يرسم الخدمة ، لتقديم أنواع الأشربة من السكر ،
والمشروب ، والفاكهة ، في أوان خاصة نفيسة قد تكون من البلّور ، أو
الذهب ، أو الصيني الفاخر من اللازور و ردي وغيره^(٢) •

٢ - تمكنه من دار الخلافة :

ويصفه صاحب الحوادث الجامعة عند وفاته بأنه كان شيخاً شجاعاً
كريمياً ، شريف النفس ، عالي الهمة • وقد ولاء المستنصر قيادة الجيوش
العباسية • واليه يرجع الفضل في اسناد الخلافة الى المستعصم بالله بعد وفاة
الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ •
ويظهر أن إقبالاً الشرابي ، كان متمكناً من بلاط المستنصر بالله ،
غالباً على أمره هو ، والدويدار • فقد كان لهما الأثر الأكبر في تصيب
المستعصم بالله خليفة بعد أبيه • يؤيد ذلك قول اليونيني في ذيل مرآة
الزمان^(٣) : أن المستنصر بالله « كان ذا همة عالية ، وشجاعة وافرة ،
ونفس أبية ، وعنده اقدم عظيم • واستخدم من العساكر ما يزيد على مئة
ألف • وقصدت النثر بلاد العراق في أيامه فلقبهم عسكره • واتصف
منهم ، وهزمهم • وكان للمستنصر بالله أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٤٠ • وفي الأصل وردت أبو الفضائل •

(٢) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠ •

(٣) ١ ص ٢٥٥ •

بالشهادة ، والشجاعة • وكان يقول : إن ملكني الله تعالى ، أمر الأمة لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من يد التتر ، وأفنيهم قتلاً ، وأسراً ، وسيياً • فلما توفي المستنصر بالله لم ير الدويدار ، والشرابي - وكانا غاليين على الأمر - ولا بقية أرباب الدولة ، تقليد الخلافة ، خوفاً منه ، لما يعلمون من استقلاله بالأمر ، واستبداده بالتدبير دونهم • وآروا أن يليها المستنصر بالله لما يعلمون من لينه ، واثقاده ، ليكون الأمر اليهم • فاتفق رأي أرباب الدولة على تقليد المستنصر بالله الخلافة بعد أبيه فقلدها ، واستبدوا بالتدبير • • • • •

ويقول عبدالرحمن الأربلي^(١) : وكان المستدعي له ، والقائم بأمر هذه الانالة شرف الدين إقبال الشرابي المستنصر رحمة الله • وأجلسه على سدة^(٢) الخلافة • وخطبه بأمر المؤمنين •

ويقول عماد الدين بن كثير^(٣) : وكان القائم بهذه البيعة المستعصية شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي •

وقد ذكر قطب الدين الحنفي^(٤) بيعة المستنصر هذه فقال : « وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمئة • وكتب موته • وخطب له بعد موته إلى أن جاء الأمير إقبال الشرابي إلى والده المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضيئين من شهر رجب سنة أربعين وستمئة • وذكر قصب الدين أيضاً : ان اخاه الخفاجي قد فر إلى العربان وتلاشى امره^(٥) •

لقد عرف المستنصر بالله هذه اليد للشرابي عليه • فلما انتهت الدولة من الجداد على المستنصر ، وغيرت ثياب العزاء سارع المستنصر بالله إلى

(١) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٤ •

(٢) السدة : سرير الملك أو العرش • وكانت عروش خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها سبعة أذرع ، راجع صبح الاعشى ٤ : ٦ •

(٣) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦١ •

(٤) الاعلام ص ١٦٠ • وفي الحوادث الجامعة انه توفي بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ وأن الشرابي سلم على المستنصر بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده • وهذه الأرقام أصح من الأرقام التي ذكرها قطب الدين الحنفي ، لقرب الأول من الدولة العباسية ، وبعد الثاني عنها بضعة قرون •

(٥) الاعلام ص ١٦١ •

مكافأة إقبال الشرايبي ، الذي تمكن من مبايعته بالخلافة بعد وفاة أبيه
 فنُخلع عليه في حضرته^(١) . وقلّده سيفين بيده . وقُدّم له مركوب من
 خيل الخليفة في البستان^(٢) . فخرج راكباً وبين يديه الخدم بسيوف
 مشهورة فخدمه^(٣) الامراء ، ومشوا بين يدي مركوبه ، فخرج من باب
 الشوّبي^(٤) فلما انتهى الى باب البدرية^(٥) استأذنه علاء الدين الطيرس
 الدويدار^(٦) وكان راكباً في آخر الامراء في العود الى داره ، فأذن له ،
 وللامراء . فنزل علاء الدين وعضده ، وقبل يديه ، وعاد^(٧) .

ويعطينا مؤلف كتاب الحوادث الجامعة تفاصيل وافية عما بذله إقبال
 اشرايبي ، من جهود في أخذ البيعة للمستعصم بالله . ويمكننا أن نؤكد
 أن المستعصم بالله لم يعهد قبل وفاته الى أحد بالخلافة . ولعل موته
 مسموماً كما تذكر احدى الروايات^(٨) حال دون أن يوصي لأحد من بعده .

(١) وكان الخلفاء يخلعون على الوزراء في باب الحجر . وهي دار
 عظيمة الشأن ، عجبية البنيان . واليها يحضرون في أيام الموسم للهناء .
 أنشأها المستظهر بالله . راجع ياقوت : ١ : ٣٠٧ .

(٢) هو بستان التاج . وكان يطبل على دجلة . وكان الخلفاء
 العباسيون يجلسون في شبك القبة المشرفة على هذا البستان .
 (٣) خدمه الامراء : أي مثلوا بين يديه . ويقال خدم في عدة خدمات .
 أي في عدة وظائف . ويقال : الخدم الجليلة : أي الوظائف الكبيرة . كما
 يطلق على الخلافة : الخدمة الشريفة .

(٤ و ٥) وهما من أبواب دار الخلافة ببغداد . وقد جاء في صبح
 الأعشى ج ٤ ص ٣٣١ أنه كان على حريم دار الخلافة سور كهيئة الهلال ،
 أو كنصف دائرة . له أبواب أولها : باب الغربية على دجلة . ثم باب التمر ،
 وهو باب شاهق . ثم باب البدرية (بالقرب من جامع مرجان اليوم) .
 ثم باب النوبى . وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل . ثم باب
 العامة (ويعرف بباب عمورية) ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه ، الا
 باب تحت المنظرة التي تنحصر تحتها الضحايا . ثم باب المراتب ،
 بينه وبين دجلة ، نحو زميتي سهم . وكان باب النوبى يوصف بالشريف
 فيقال : باب النوبى الشريف . ومن الابواب الاخرى : الباب القائم ،
 وباب النصر .

(٦) الدويدار : أو الدواتدار ، وهو حامل الدواة الكبير .

(٧) الحوادث الجامعة : ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٨) راجع كتاب السلوك ص ٣١١ .

ومهما كان من أمر فان الغموض يكتنف وفاة المستنصر بالله ، وان حاشيته من الممالك ، والموالي ، والخدم اضطربت وعملت على ألا يفلت الأمر منها عند موته . لذلك لم يكن يعلم بموته حتى ابنه المستعصم الذي ولي الخلافة من بعده ، ولا أحد من أبنائه الآخرين ، أو أهل بيته ، وعمومته . وحتى أستاذ داره مؤيد الدين ابن العلقمي ، ووزيره ابن الناقد لم يكونا على علم بذلك .

لقد توفي المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ فاستدعى الشرايبي ابنه عبدالله « أي المستعصم » من مسكنه بتاج سرا من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره . فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي فسلم عليه الشرايبي بالخلافة ، واجلسه على السُدة بعد ان شاهد والده مسجى . وكنم موته فلم يعلم به الا بعض الخدم^(١) فلما حضر أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد ابن العلقمي مؤذناً بالأذان قبل صلاة الجمعة جرياً على العادة ، أُسِرَّ اليه ذلك واستكتم . ثم عرف الوزير نصير الدين بن الناقد أيضاً . وكنم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر . ثم دفن بالدار المثمنة بدار الخلافة على شاطي دجلة^(٢) .

ويُفهم مما ذكرناه أنه خُطِبَ للمستنصر بالجامع في يوم الجمعة الذي توفي فيه مع أنه توفي قبل صلاة الجمعة . وكنم أمره حتى أقبل شرف الدين إقبال الشرايبي^(٣) . ويذكر ابن وهاس أنه بويع للمستعصم

(١) الحوادث ص ١٥٨ . والعسجد المسبوك الورقة ١٤٠ . وجاء في النجوم الزاهرة رواية أخرى عن تاريخ وفاة المستنصر وهي انه مات في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ . والأول أصح باجماع سائر المؤرخين الآخرين .

(٢) الحوادث ص ١٥٥ كما دفن أبوه الظاهر في دار الخلافة أيضاً ثم نقل بعد ذلك الى ترب الرصافة . راجع : العسجد المسبوك : الورقة ١٣٨ . والدار المثمنة : أنشأها الخليفة المسترشد . وكان في دار الخلافة دار يقال لها الدار المربعة ، ودار الشجرة . ومن القصور : الحسنى والفردوس ، والتاج .

(٣) راجع النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

يوم الاحد الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ • واستدعي اعمامه
فامتنعوا الا الامير حبيب فإنه حضر وبايع^(١) •

وجاء في خلاصة الذهب المسبوك أن شرف الدين الشرابي اشعر
استاذ الدار محمد ابن العلقمي ، والوزير أحمد بن الناقد بذلك • وطلب
منهما ستر الحال الى الليل • ثم احضرا ليلا ، وبايعا • ولقب « المستعصم
بالله » • واستدعي أحد اعمامه وهو أبو الفتوح حبيب وأوهم أن جماعة
أخوته حضروا وبايعوه • فلما حضر لم يرهم ، فبايع وعاد الى داره
بالفردوس • ثم طلب الباؤون للمبايعة فامتنعوا • ثم طلب القضاة ، والأمراء ،
والولاة لاجل المبايعة • وأشيع ذلك يوم السبت حادي عشر الشهر
المذكور •••

وأما اعمامه ، وكذلك عم أبيه ، الممتنعون من الحضور والمبايعة •
فأشير باستدامة غلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل
عليهم طعام ولا غيره ، فبقوا على ذلك ثلاثة أيام فسألوا المبايعة ، وأحضروا
فبايعوا •

ومهما يكن من أمر فانه لم يعلن عن موت المستنصر الا بعد أن أحضر
أبو الفتوح حبيب فبايع المستعصم بالله • وأحضر بعده عشرة من أولاد
الخلفاء فبايعوه • ثم بايعه الوزير ، وأستاذ الدار • ثم بايعه اعمامه^(٢)
ثم عين الأمراء لحراسة البلد مخافة الاضطرابات • وطلب الى جميع الأمراء
من الشاميين ، والغرباء ألا يركب أحد منهم ، ولا يخرج من داره • فأصبح
الخامس يوم السبت ، فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة وهي : باب
النسوي ، وباب العامة ، وباب المراتب • ثم أعلن للناس عن وفاة المستنصر ،
ومبايعة ابنه عبدالله الذي لُقِّبَ بالمستعصم بالله •

ثم استدعي الى دار الوزارة المدرسون ، ومشايخ الرُّبُط ، وأعيان

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٠ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ راجع خلاصة الذهب ص : ٢١٤ -

٢١٥ والعسجد المسبوك • الورقة ١٦١ •

الناس ، ومضوا الى بستان التاج ، وعليهم ثياب العزاء^(١) فبايعوا على اختلاف طبقاتهم . وكان استاذ الدار يأخذ البيعة على الناس ، ويلقنهم لفظ المبايعة . وفي اليوم الثاني دخل الأمراء ، والمماليك كافة وبايعوه . وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها مَنْ تخلف من الامراء ، والغرباء ، وضروب الناس . وقد وقفوا صفوفاً بين يدي الشباك الذي جلس فيه الخليفة الجديد ، وعليه البردة ، والطرحة^(٢) والقضيب بيده . فلما رفعت الستارة قبّل الجميع الارض . واستدعي قاضي القضاة عبدالرحمن ابن الدامغاني ، والعدل : النقيب أبو طالب الحسين بن المهدي الخطيب ، ومدرس النظامية : العدل عبدالله ابن البادراني ، وأشهدهم جميعاً على نفسه : أنه قد وكل وزيره ابن الأزهر أحمد بن الناقد وكالة جامعة . وأقر القاضي المذكور على حكمه وقضائه ، والنقيب ابن المهدي على نقابة العباسيين ، وأبا عبدالله الحسين ابن الأقباسي على نقابة الطالبيين . ثم أحضر المحتسب أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي ، وأمر أن يصعد المنبر ويقرأ بأعلى صوته : « إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه . ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » . وقد أنشد الشعراء المراثي ، والمدائح . فلما انقضى انشادهم خرج أبو الفضائل إقبال الشرايبي المستنصري وبين يديه جمع كثير يسمعون ، وفي يده مطالعة مستعصمية^(٣) في كيس حرير أسود فناولها للوزير .

(١) كانت ثياب العزاء عند العباسيين هي الثياب البيض .

(٢) الطرحة : للقضاة والمدرسين . والطليلسان للعدول . والطرحة تلبس فوق العمامة فاذا عزل المدرس أصبح بدون طرحة . وكان اساتذة دار الخلافة وهم الذين يسمون بالاستاذ دارية يلبسون الطرحة ايضاً . ولعل الطرحة هي القسم الاعلى من الطيلسان . فالطيلسان يكون على الجسم كالجبة عندنا ، والطرحة تكون على الرأس تغطي بها العمامة . أو تغطي لباس الرأس أيّاً كان كما يفعل أهل المغرب اليوم . وبذلك فالطرحة بالنسبة الى الطيلسان أو الجبة تشبه القسم الاعلى من « الروب » الذي يلبسه اساتذة الجامعات وهي التي يسمونها : Hood .

(٣) العسجد المسبوك ١٦١ .

وجلس الى جانبه ، فقرأها جالسا لعجزه عن القيام فلم يرتفع صوته •
 فناولها استاذ الدار محمد ابن العلقمي فقام وقرأها قائماً ، والناس قيام •
 ومضمونها التأسّي والتسلي ، واستشعار الصبر الجميل ، وجاء الثواب
 الجزيل لقوله تعالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم
 الخالدون • كل نفس ذائقة الموت » • والحمد لله تعالى على ما أصاره لنا
 من الخلافة ، وتقليد أمور الكافة ، والتمكن من البلاد ، والطاعة على جميع
 العباد • ومن أجدر ممن عمل بقوله تعالى : « ان مكناهم في الأرض
 أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله
 عاقبة الأمور » • ولم يخضب للمستعصم الا في الجمعة الثانية لبيعه أي في
 السابع عشر من جمادى الآخرة • وثرت الدراهم ، والدنانير على الخطباء
 عند ذكره في الخطبة •

ثم وجه الخليفة الخطاب الى الوزير فقال : ولينهض الى الديوان ،
 وليأمر المستنابين في الأعمال ، بالعدل ، والأصاف ، والرفق بالرعية ،
 والحكم بينهم بالسوية ، وازالة ما أحدثه العمال السوء من المكوس^(١) ،
 وانتقسيطات^(٢) ، والمؤن ، والتأويلات^(٣) فارتفعت الأدعية • ثم نهض
 الجماعة بعد أن ضرب الطبل • وخرجوا جميعاً •

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر من الشهر المذكور حضر السادة
 الأمراء أعمام الخليفة للمبايعة • فجلس لهم في القبة ، ووقفوا بين يديه
 بعد أن قبلوا الأرض خجلاً من امتناعهم ، فقال : « لا تشريب عليكم
 اليوم يغفر الله لكم » فبايعوه ، وانصرفوا • وقد وعدوا بالأحسان اليهم ،
 والأنعام عليهم^(٤) •

(١) المكوس : الضرائب غير الشرعية •

(٢) التقيسيطات : أخذ الاموال على سبيل القرض •

(٣) التأويلات : أخذ أموال الناس بالطرق غير الشرعية • راجع

تجارب الامم ٧ : ٤٠٧ • المسجد المسبوك • الورقة ١٦١ • وجاء في
 الحوادث الجامعة ص ١٦٢ « الباولات » وهي خطأ •

(٤) المسجد المسبوك • الورقة ١٦١ والحوادث الجامعة ص ١٦٠

وأرسل المستعصم الى أخيه الأمير أبي القاسم عبدالعزيز حَوِيَّة^(١) من فاخر الثياب ، وأنواع الملابس ، وحوِيَّيْنِ فيهما عشرون ألف دينار انعاماً ، وصلته .

وبعد مضي شهر على وفاة المستعصم نقل جثمانه من مدفنه بدار الخلافة الى مدفن أعدده لنفسه في مقابر الرصافة بلصق محلة أبي حنيفة . وقد كان تشييعه تشييعاً رسمياً اشترك فيه الزعماء ، والمشايخ ، والمدرسون ، والعدول ، وأرباب الدولة بملابسهم البيض . وحُطَّ الصندوق في شُبَّارة طويلة كان يجذف بها خمسة عشر ملاحاً ، في صدرها قبة مجللة بسجاف الكازروني ، المتوفى في حدود السبعمئة من الهجرة . وفيها ذكر اطلس أسود . وكان إقبال الشرايبي ، وأستاذ الدار^(٢) وابن درة المعمار قد نزلوا فيها ، فوقفوا بين يدي الصندوق فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة ، رفع الصندوق على الرؤوس ، وأمتد الناس كلهم بين يديه الى التربة^(٣) .

وبعد تولي المستعصم الخلافة بثلاثة أشهر ونصف فرقت الخلع الرمضانية في اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة ٦٤٠ هـ . وقد فرقت هذه الخلع من المخزن على أربابها ، من خدَمَة الباب ، ومن جرت عاداته بذلك . فبلغت ثلاثة آلاف وأربعمئة وعشرين خلعة .

وفي السابع والعشرين منه خلع الوزير على أرباب الدولة ، وحاشية الديوان ، ونواب . وغيرهم فبلغت (١٠١٥) خلعة .

وفي الثامن والعشرين منه خلع شرف الدين إقبال الشرايبي على حاشيته ، ونواب^(٤) ديوانه ، وخدمه ، ومماليكه ، وعلمان اصطبلاته ،

(١) الحوية : محفظة للنقود أو الملابس .

(٢) الاستاذدارية : نشأت في عهد المستظهر بالله . وهي رئاسة ديوان الخليفة الذي يسمى أيضا : الديوان العزيز . واستاذ الدار : بمثابة رئيس القصر الجمهوري أو الديوان الملكي . والملابس البيض : ثياب الحزن

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٤) النواب : الرؤساء الاداريون .

فبلغت عدة الخلع من الأطلس المعدني^(١) ، والبغدادى ، والعتابى^(٢) ،
والبقاير المذهبة^(٣) ، والعراقى ، والحريرى ، والأقيية ، والسرايش^(٤)
الذهب . (١٩٠٠) خلعة^(٥) . ويلاحظ انها أكثر بكثير من خلع الوزير ،
وهي تضاهي خلع الخليفة التي اخرجت من المخزن .

٣ - خدمته لوالدة المستعصم عند حجها :

وفي سنة احدى وأربعين وستمئة ، حجت والدة الخليفة المستعصم
بالله . وهي أم ولد حبشية اسمها : « هاجر »^(٦) وذكر ابن وهّاس أنها
أم ولد هندية ، وقيل انها حرة^(٧) وكان إقبال الشرابي في خدمتها عند
ذهابها ، وعند عودها . ويذكر قطب الدين الحنفي أنه كان معه ستة
آلاف خلعة . وأنه تصدق بنحو ستين ألف دينار . وقد عدت جمال من
ركب في تلك السنة فكانت مئة ألف وعشرين ألف جمل^(٨) .

وقد جاءتنا في المسجد المسبوك تفاصيل وافية جداً عن حج والدة
المستعصم . ان هذه التفاصيل تزودنا بمعلومات ممتازة عن الرسوم ،

(١) الأطلس المعدني : نسبة الى المعدن . ومنه شرف الدين المعدني
مؤلف الخطب المعدنية المشهورة . خدم بها المستنصر بالله أي اهداها اليه .
راجع المشتبه للذهبي ج ٢ ص ٦٠٢ والأطلس المعدني : اشرطة من الحرير
توضع على صدور الخيل مع بعض القطع من المعدن تزين بها سروج الخيل
وذلك بخياطتها بقماش السرج .

(٢) العتابي : قماش مخطط بحمرة وصفرة أي انه ملون منسوج
من القطن والحرير ينسب الى العتابية احدى محلات بغداد الغربية . وقد
اشتهر القماش العتابي في العالم .

(٣) البقاير : مفردا بقيار وهي كلمة فارسية معناها : السجادة
السوداء المصنوعة من وبر الابل . وهي أيضا نوع من العمائم الكبار التي
كان يلبسها الوزراء والكتاب .

(٤) مفردا : الشربوش : قلنسوة طويلة تلبس في الرأس بدلا من
العمامة . وهو القباء من البسة الاجناد . ويعتبر الشربوش شارة للامراء .
والعمامة للقضاة والكتاب وغيرهم . والكلمة معربة عن شربوش الفارسية .
راجع الالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٩ .

(٥) المسجد المسبوك . الورقة ١٦١ .

(٦) الاعلام ص ١٦٠ .

(٧) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٠ .

(٨) الاعلام ص ١٦١ .

والتقاليد ، والاحتفالات التي كانت تتبع في موسم الحج • وتمدنا باحصائيات
طريفة عن المواد التي كانت تخرج من المخزن ، وعن الخلع التي كانت
تخلع على الناس مما سنذكره في فصل آخر •

ففي ١٥ شوال سنة ٦٤١ هـ وقع الشروع في أمر الحج • وعين له
الأمير أيبك الخاص الدويدار الصغير • وحملت إليه نفقة أجناد الحج
وهي : خمسون ألف دينار • وأخرجت النوبة^(١) المكية ، وكسوة الكعبة
الشريفة ، وكسوة حجرة الرسول (ص) ، وصدقة فقراء الحرمين ، ورسوم
العرب • ثم أخرجت باقي السبيل^(٢) وهي : سبيل الخاص ، وفيه ٢٠٠
جمل • ثم سبيل المستنصر بالله ، وفيه ١٥٠ جملا • ثم سبيل الظاهر
بأمر الله ، وفيه ١٥٠ جملا • ثم سبيل الناصر لدين الله وفيه ١٠٠ جمل •
ثم سبيل أم الامام الناصر لدين الله وفيه ثمانون جملا • ثم سبيل الخلاطية
وهي زوجة الناصر لدين الله •

وعزمت أم الخليفة المستعصم على الحج في هذه السنة • فلما كان
اليوم الثالث والعشرون من شوال خرجت المحفطان والشمسة^(٣) • وقد
أبست احدهما في باب الحجرة الشريفة ، والأخرى في باب الطبل •
وحملتا من باب الحجرة ، وبين يديها أستاذ الدار ، ووكيل الخليفة ،
وجماعة من الخدم ، وحاشية دار الخلافة ، مشاة الى باب البشري • ثم
خرجت جبال باب الحجرة وهي ألف ونيّف وثلاثون جملا تحمل
مختلف المواد من بغداد الى مكة • وقد خصص لكل مادة من المواد التي
سنذكر بعضها عدد معين من هذه الجمال • فمنها : عدد معين لحمل
صناديق التشريفات والخيم ، والسراقات ، والاحرامات المعدة للصدقة ،

(١) من معاني النوبة : النوبة الموسيقية أو ضرب البشائر والطبول ،
والآلات الموسيقية التي يعزف بها • راجع عن الكسوة العراقية للكعبة في
زمن العباسيين ص ١٥٧ من رحلة ابن جبير وص ٧٠ من تاريخ القطبي •
(٢) السبيل : يراد به ان يحج شخص عن آخر نيابة عنه بأجر
معين • أي يستنيبه عنه • ولا يزال بعض الحجاج يحجون عن غيرهم من
الاحياء أو الموتى • وكان يتولى كل سبيل من السبيل المذكورة ، بعض
النواب والمتولين • والسبيل أيضا : السقايات لشرب الماء وشهرتها عند
عند الناس بالسبيل أكثر من السقايات •

(٣) المحفة كالهودج • والشمسة هي المظلة ، وهي عبارة عن قبة
من حرير أصفر مزركش بالذهب تحمل على رأس الخليفة أو السلطان في
العديد • راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ٨ •

والكسوة ، وأنواع الأطعمة ، والأشربة ، والحلوى ، وخشكان وسكر
أبلجج^(١) ، وجزار الخزف ، وأواني الزجاج ، والمحابر ، وحوائج المطبخ ،
 وآلة الحلاويين ، والقصابين ، والخبازين ، والصناديق التي بها الماء العذب ،
وعلف الجمال . ومنها ما كان يحمل الخدم ، والصدور ، والوكيل .
والشحنة ، والطباخين ، والسقاين ، والمواد المتفرقة .

وخرج في خدمة هذه الجهة^(٢) ٢٩ خادما ، ومقدم عليهم الاستاذ
كافور الظاهري . وحضر زعيم الحاج أبو الميامن أيبك المستصري في
مماليكه ، الى دار الخلافة فكسسي على باب الحجره كسوة فاخرة .
وخرج واقرايين بين يديه ، متوجها الى الجانب الغربي . وقصد تربة
أم الناصر لدين الله على عادة أمراء الحج .

وجاء في الحوادث الجامعة أن أم الخليفة السيدة « هاجر » خرجت
من بغداد منحدره في شبارة^(٣) الخليفة الى « در زيجان »^(٤) متوجهة
الى الحج . وخرج الخليفة لوداعها . فلما نزل السرادق نشر عليه إقبال
الشرابي ذهباً كثيراً . ولم يكن الخليفة قبل ذلك سافر سفراً نزل فيه
مخيماً . ولما وصل الخليفة الحلة^(٥) ، ودخل الدار التي على شاطئ
الفرات نشر عليه الشرابي ذهباً كثيراً أيضاً . ثم توجه الى الكوفة . ودخل

= الشمسية : ستارة من الديباج الاحمر مربعة الشكل تعلق على باب
الكعبة . ويراد بها الكسوة أو الستور .

وأول من عمل الشمسية المتوكل على الله فقد بعث بسلسلة من ذهب كانت
تعلق مع البياقوتة التي بعثها المأمون وصارت تعلق كل سنة في وجه الكعبة
وكان يؤتى بالسلسلة في كل موسم وفيها شمسية مكللة بالدر والياقوت
والجوهر قيمتها شيء كثير فيتقدم بها قائد يبعث به من العراق فتدفع
الى حجة الكعبة ويشهد عليهم بقيدها .

(١) وهو المعروف عندنا بـ « سنكرنيات » .

(٢) الجهة : يقال لزوجات الخلفاء وبناتهم : الجهة ، أو الجهة
الصالحة ، والستر الرفيع ، والحجاب المنيع . والستر الاشرف ، والجانب
الاراف .

(٣) الشبارة : سفينة أو قارب سريع فيه عدد من الملاحين كان
يستعمل ببغداد في نهر دجلة .

(٤) قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة في الجانب الغربي . وهي
احدى مدن المدائن . منها كان والد ابي بكر الخطيب مؤلف تاريخ بغداد .
راجع « ياقوت ٢ : ٤٥٠ » .

(٥) الحلة : مدينة عراقية تعرف بالجامعين بناها سيف الدولة صدقة

جامعها • وقصد مشهد علي بن أبي طالب (رض) •

فلما توجه الحاج الى الديار الحجازية ، ودع الخليفة والدته • وعاد الى بغداد • وقال ابن وهاس في العسجد المسبوك : « وفي تلك السنة توجهت الجهة أم الخليفة منحدره في دجلة • وتوجه الخليفة نحو الحلة مودعاً زائراً ليلة السبت التاسع والعشرين من شوال • فدخل الكوفة في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة • ودخل جامعها • وقصد مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام زائراً • وعاد الخليفة بعد الوداع •

وكان جملة ما خرج في الإقامة في مدة سبعة أيام من الخبز اثنان وخمسون ألف رطل وستمئة وثمانون رطلا • ومن الشعير برسم قضم الكراخ سبعة وثلاثون كُراً • ومن النغم برسم المطابخ تسعمئة وخمسون رأساً • ومن الذهب في حوائج المطبخ مئتان وستة وعشرون ديناراً • وكان جملة ما فرقّه الشرايبي على الزعماء ، والمماليك ، والحاشية ، وما نشره على الخليفة حين دخل ديوانه بالحلة خمسة عشر الف دينار وستمئة دينار ونيف وسبعون خلعة^(١) •

وجاء في الحوادث الجامعة^(٢) في حوادث سنة ٦٤٢هـ أن اقبالا الشرايبي تقدم الى وكيله عز الدين حسن بن عبدوس بالمسير الى واقصة^(٣) ليلقي والده الخليفة المستعصم عند عودها من مكة المكرمة • وأنفذ معه تسعين جملاً عليها تشريفات^(٤) وحلواء ، وحوائج وغير ذلك • ثم طلب

ابن منصور بن ديبس بن علي بن يزيد الاسدي في سنة ٤٩٥هـ • وكان المستعصم يخرج اليها للنزهة فقد ذكرها صاحب الحوادث في صفحة ٢٦١ في اخبار سنة ٦٥٠ قال : وفيها انحدر الخليفة المستعصم الى واسط متنزها • ثم سار الى الحلة وفي خدمته فخرالدين الدامغاني صاحب الديوان ، وكان قد بني له في الحلة داراً على شاطئ الفرات ، فاستحسنها ، وأقام بها ثلاثة أيام • وعاد الى بغداد •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٣ •

(٢) ص ١٩١ - ١٩٢ •

(٣) واقصة : بكسر القاف - منزل في طريق مكة مما يلي العراق • راجع مراصد الاطلاع في مادة واقصة • ويقول القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ : بها منارة من قرون الوحش وحواقرها بناها السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان • ويقول ان المنارة باقية الى الآن (قبل ٦٨٢هـ) راجع آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٠ •

(٤) التشريفات مفردتها : التشريف وهو لباس يخلع على شخص له =

الى صدر المخزن^(١) فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشهر اباني ، ومشرفه
عميد الدين منصور بن عباس الدجيلي بالتوجه أيضا ، وأن يستصحبها ما
اعدها من الاقامات^(٢) فتوجها فلقيا الحاج في منزل القادسية •

أما أبو الحسن الخزر جي فيذكر في المسجد المسبوك أن الاقامات
جهزت في المحرم من سنة ٦٤٢ هـ لتلقي أم الخليفة عند عودهما من الحج . ويذكر
أن حسين بن عبدوس وكيل إقبال الشرايبي خرج بمئة جمل عليها حلوى
وأطعمة مختلفة ، وخلع • منها : خمسة أحمال صناديق فيها بقاير قصب
بمغربي وعراقي وحريري ••••• نُفِذت صحبة مرشد الشرفي أحد خدام
الشرايبي ، وأمر أن يسيرا الى أن يلقيا الحاج ويوصلا ما معهما الى سرادق
المحفة^(٣) •

وفي الثالث والعشرين منه خرج صدر المخزن محمد بن أبي عيسى
اشهر اباني ، ومشرفه منصور بن عباس ، الى تلقي المحفة وصحبتهما ٥٥
جملا فيها ٢٩ جملا عليها صناديق منها :

١٦ جملا عليها (٩٢٩٠) قطعة خُشْكِنَان^(٤) ، وأقراص كبار •

• ٢٠٠٠ قطعة صغار منقوشة •

• ١٣ جملا عليها ٦٦٣ بطة حلوى صابونية •

• وجملان عليهما ٩٠٠ رطل سكرًا أبلُوجا^(٥) •

• وجمال عليه ٣٠٠ رطل شمعا •

= خدمة أو منزلة رفيعة • ويقال لها : التشاريف أيضا • تقول : وصل اليه
تشریف أبي ان يلبسه • وامتنع من لبس التشریف •

(١) صدر المخزن : رئاسة المخزن اشبه بوزارة المالية والتموين
ويقال له : المخزن المعمور •

(٢) الاقامات : مفردها الاقامة وهي : أنواع من المؤن •

(٣) المسجد المسبوك • الورقة ١٦٤ •

(٤) الخشكنان والخشكنانج يظهر انها حلويات من أنواع الفطائر
وجاء في المعرب ص ١٤٣ دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج ، وبسط وملئ
بالسكر واللوز والفتق وماء الورد ، وجمع وخبز •

(٥) أبلوج • يظهر انه « السكر نبات » المعروف عندنا وهو فصوص
صلبة على هيئة البلور وفي الالفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦ : هو عصير
السكر المطبوخ ثلاث مرات •

وتوجهها فلقياً الحاج بالقادسية فسلما ما كان معهما الى الوكيل ، العدل
أبي الحسين ابن النيار .

ويقول ابن الساعي : قرأت بخط صدر المخزن ما هذا صورته : الله
المشكور . المحمول من الاقامات الشريفة من المخزن المعمور اثنان وخمسون
جملا . ثم يفصل ما على هذه الجمال ، وما كانت تحمل من كميات من
الحلاوة ، والعشكئان ، والشمع ، والسكر ، والليمون^(١) ، والنشا ،
والزعفران ، وحب الرمان ، وحوائج المطبخ من سُمَّاق ، وماء حصرم ،
وزبيب ، وأبازير ، وعدس ، ودقيق^(٢) .

وعزم الخليفة على التوجه الى الكوفة للمقاء والدته ، فعرض له مرض
منعه من ذلك . فطلب الى أرباب المناصب كافة بالخروج الى « فراشا »^(٣)
فخرجوا ، ما عدا الوزير نصيرالدين بن الناقد لعجزه بسبب مرضه .
فساروا الى زريران^(٤) فوجدوا السراقات بها . فكان كل واحد من
الجماعة ينزل على بُعد ، ويستأذن بالحضور فيؤذن له . فاذا حضر قبل
الأرض بباب السُرادق فيخرج أمين الدين كافور الظاهري ويقول له : قد
عرفت خدمتك . أو ما هذا معناه ، ويأذن له في العود .

وذكر ابن الفوطي^(٥) : ان والدته المستعصم بالله حجت سنة ٦٤٢هـ .
وقال أيضاً : ان المستعصم بالله كان « ملازماً لصوم الاثني والخميس
دائماً » . وحجت والدته ، وبلغت النفقة عليها في ذهابها ورجوعها مئة ألف
دينار^(٦) .

(١) وقد تسقط نونه فيقال : الليمو كما في الحوادث الجامعة
ص ١٩٢ . ادي شير ص ١٤٢ .

(٢) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٣) فراشا : قرية من قرى بغداد ينزلها الحاج : - ياقوت ٤ : ٢٤٣ .

(٤) زريران : قرية على جادة الحج اذا أرادوا الكوفة من بغداد

« ياقوت ج ٣ ص ١٤٠ » .

(٥) التلخيص ج ٥ ص ٢٤٩ الترجمة ٥١٨ .

(٦) التلخيص ج ٥ ص ٥١٣ الترجمة ١٠٧٨ . وكانت وفاة أم

المستعصم في يوم الاثني ١٥ ذي القعدة . وقد خرج لتشجيعها أرباب الدولة
وذوو المناصب كافة . راجع المسجد المسبوك . الورقة ١٧٢ .

للبذخ والنفقات والهبات والهدايا التي خلعتها الخليفة المستعصم بالله ، وإقبال الثرابي ورجال الحاشية ، وغيرهم عند ذهاب والده الخليفة للحج ، ورجوعها الى بغداد . كما أن في هذه الحجة صورة للمراسيم ، والعبادات ، والتقاليد ، والاستعدادات التي كانت تتبع يومئذ كما أسلفنا . فقد جاء في الحوادث الجامعة^(١) أن والده الخليفة وصلت الى « زَرَّيران » واستراحت فيها . ثم نزلت الى الشُّبَّارة ليلا بعد الانتهاء من مراسيم الاستقبال ، وأُصعدت الى بغداد . وكانت قد خلعت على الأمير مجاهد الدين أيلك الدويدار أمير الحاج . وأمرت له بخمسة آلاف دينار ، وعلى حسن الدين قيران ، وأمرت له بألف دينار . فلما ترك الحاج بظاهر التربة بالجانب الغربي نُفذ شرف الدين عبدالله ولد تاج الدين عبدالله ابن النيار وكيل والده الخليفة ، والعدل ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينه الخازن ، وابن بكران نائب الوكيل . وضربت لهم خيمة خلف التربة وخلعوا على كل من كان في خدمتها من الثواب ، والأتباع ، والفراشين ، والمحفدانية ، والجمالين ، والسقائين ، والحدادة ، والساقية ، والنفاطين ، والحراس .

ويذكر أيضاً أن فخر الدين ابن المخرمى صاحب الديوان ، حمل إليها من البصرة ستة عشر جملاً عليها حلوى ، وأقراص ماء الليمون ومخلط^(٢) ، وبُسْر مطبوخ ، وماء الورد ، والخلاف^(٣) ، وقشر الطلع ، وشربات^(٤) ، ومرآكن^(٥) ، وليمون أخضر ، وأترج ، وتفاح ، وكُمشرى ،

- (١) ص ١٩٢ . والعسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢ هـ .
(٢) المخلط : وهو أنواع من الفواكه المجففة بالسكر . ولا تزال الكلمة مستعملة ببغداد حتى اليوم بمعنى خليط من أنواع الحلويات اليابسة من كل جنس . وذكر ابن الجوزي في ١٠ : ٢٧٥ دكاكين المخلطين ببغداد .
(٣) الخلاف : لعله ثمر يستخرج من شجر الخلاف لطيب رائحته اما للشرب أو للتطيب . اما البسر المطبوخ فهو ما نسميه اليوم بـ (الخلال المطبوخ) ولا يزال ذلك معروفاً في البصرة .
(٤) الشربات : مفردتها شربة وهي القلثة من الفخار لتبريد الماء .
(٥) المراكن : وهي الاوعية العميقة . ومفردتها : المرن . تتخذ لحفظ الاثمار والبقول الطرية . وتكون من الرصاص أو الخزف أو الفخار ، أو الخشب .

وخوخ ، ونارنج ، ورمان ، وعنب ، وباذنجان ، وماء الليمون ، والحصرم ،
وخل العنب مصعداً^(١) وغير مصعد ، وحصر بصرية ، وسجادة رفيعة .
ويذكر أبو الحسن الخزرجي : أن أبا سعيد المبارك ابن المخزومي
وكان يومئذ بالبصرة ، قد أرسل ستة عشر جملاً محملة بمختلف الحوائج
ويقول : وكان من جملة ما عليها : خشكنا وأقراص ، وكليجا ، ومخلط ،
وماء الورد ، وماء الخلاف ، وكش الطلع^(٢) ، وشربات رفاع ، وليمون
أخضر ، وأترج ثم يقول : فلقبهم ذلك في الثعلبية^(٣) .

ونفذ لهم من ديوان الكوفة كميات كبيرة جداً من الخبز ، والجريش
لمجمال ، والشعير ، ومن القار ، والنفط ، ومن الدجاج ٥٧٥ قطعة . ومن
الطيور والحمام لأجل المهام ٣١ طائراً .

ثم خرج الأستاذ مرشد الهندي المستعصي وصحبه جماعة من
الخدم ، وعدة من الممالك الأتراك ، ومعه (١٦) صندوقاً آخر أخرجت
من دار انشريفات ، وسلمها الى الوكيل . وعاد ، فأخبر بوصولهم الى
الكوفة . فخرج كافة أرباب الدولة ، وذوو المناصب ، لتلقي المحفة .
وخرج أستاذ الدار أبو طالب محمد ابن العلقمي . وخلع على أمير الحاج
كسوة فاخرة ، وعلى كافة الجماعة المسافرين صحبة المحفة ، على قدر
مراتبهم .

وفي أول صفر دخلت السُّبُل . فدخل سبيل الخاضع المعروف
بسبيل الفقير . ثم تلاه سبيل المستنصر بالله . ثم سبيل الظاهر بأمر الله .
ثم سبيل الناصر لدين الله . ثم سبيل الخلاطية زوجته . ثم سبيل
الشرابي^(٤) .

٤ - أصحاب الشرابي وخواصه :

ويظهر أن شرف الدين الشرابي ، كانت له حاشية كبيرة ، وأصحاب

(١) المصعد : المقطر .

(٢) لاتزال « الكليجا » وهي نوع من الخبز المعجون بالسمن والحليب
والسكر والجوز أو اللوز مستعملة في العراق وكذلك « كش الطلع » وهو طلع
النخل وثمره عند أول طلوعه . وجاءت في الحوادث ص ١٩٢ « قشر الطلع » .

(٣) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة : راجع باقوت ٢ : ٧٨ .

(٤) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

عديون ، كانوا يحضرون في الاحتفالات ، والمناسبات المختلفة . كما كانت له ثروة عظيمة ينفق منها بكرم منقطع النظير على الأعمال الخيرية التي أسلفنا ذكرها ، وعلى المدارس التي أنشأها ، وعلى الخلع على الأمراء ، واناس كافة .

وقد جاء ذكر أصحابه غير مرة في كتاب « الحوادث الجامعة » . فقد ذكرهم عندما وصل رسول من بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل في سنة ٦٣٢هـ لتزويج ابنة بدرالدين لؤلؤ بمجاهدالدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير . قال : وحضر أصحاب الشرايبي في حفلة الإملاك المذكورة ، والدعوة العظيمة التي عملت يومئذ^(١) .

وكان لإقبال الشرايبي منزلة كبيرة في دولة المستنصر بالله . فقد كان يحضر عنده الأمراء السكبار ، ويخلع عليهم ، وعلى أصحابهم . جاء في الحوادث الجامعة^(٢) أن الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وصل بغداد في سلخ شهر ربيع الأول سنة ٦٣٣هـ ومعه عدد من الأمراء . وحضر في سابع عشر ربيع الآخر من سنة ٦٣٣هـ بالبدرية عند شرفالدين إقبال الشرايبي فخلع عليه ، وعلى جميع أصحابه ، بذهب كثير ، وخيل ، وتحف ، وهدايا .

ومن أصحاب الشرايبي : بدرالدين أيبدغمش الذي أخذه الخليفة صغيراً لما فتحت اربل . واعتنى شرفالدين إقبال الشرايبي بتربيته . فأدبه ، وجوّد خطه ، وحفظه القرآن الكريم ، والمقامات الحريرية واشترى له الأملاك السنّية . وزوجه على ابنة الأمير شمسالدين أصلان تكين . وبنى له داراً بدرب حبيب ، فيها عدة حجر ، وبستان ، وحمام . واعطاه ليلة الزفاف سنة ٦٣٨هـ ثلاثة آلاف دينار . وفي صبيحتها لم يبق من خواص الخليفة ، وإقبال الشرايبي الا ومدّ له شيئاً ، وأهدى له هدية^(٣) .

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٧٢ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٤٢ .

ومن أصحابه أيضاً : الأمير أمين الدين كافور الخادم الظاهري الذي توفي سنة ٦٥٣هـ . أي في السنة التي مات فيها إقبال الشرابي . وكان كثير الخير ، والصدقات ، والمواصلات . وقد حج مراراً كثيرة . وتولى التشريفات . وكان قريباً من إقبال الشرابي ، حاكماً في دولته^(١) .

ويذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة^(٢) ان شهاب الدين ريحان الخادم كان لإقبال الشرابي أيضاً . وكان قريباً إليه . وكان ذا فضل ، وأدب ، ومروءة ، وكرم . وكانت وفاته في سنة ٦٥١هـ . وهو الذي بنى له المدرسة الشرايية والرباط بمكة كما ذكر ذلك نجم الدين عمر بن فهد^(٣) .

ومن خدام الشرابي المنسوبين إليه : مرشد الشرفي . وهو الذي نفذ الشرابي مع وكيله عز الدين حسين بن عبدوس مع الخلع التي أعدت لاستقبال والدته الخليفة المستعصم عند عودها من الحج سنة ٦٤٢هـ . ويظهر أنه هو الذي ولاه الخليفة رئاسة جيوشه بعد وفاة إقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ^(٤) .

٥ - تشريفه الناس بلباس الفتوة :

وكان إقبال الشرابي يشرف الأمراء بلباس الفتوة^(٥) نيابة ووكالة عن الخليفة المستعصم بالله . فقد جاء في الحوادث الجامعة^(٦) أن الأمير نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور ، وصل الى بغداد في

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٠ .

(٢) ص ٢٧٠ .

(٣) اتحاف الوري في اخبار أم القرى في حوادث سنة ٦٤١هـ .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٥) الفتوة : كان الملوك في زمن الناصر لدين الله العباسي يلبسون سراويل الفتوة ، ويشربون كأسها . وقد وردت عليهم الرسل بذلك ليكون انتمائهم له . وأمر كل ملك ان يسقي رعيته شربتها ، ويلبسهم سراويلها . وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفقهاءها ، وامراءها ، وكبراءها والبس كلا منهم سراويل الفتوة ، وسقاه كأسها . وكانت الكأس ترسل الى الكبار ليشربوها . وشربة الفتوة : كأس من الماء المذاب فيه قليل من الملح .

(٦) الحوادث الجامعة ص ٩٨ .

خامس صفر من سنة ٦٣٤ هـ • وبعد أن استقر ببغداد هو وأصحابه استدعي في حادي عشر الشهر الى البدرية حيث دار إقبال الشرايبي ، وديوانه ، فحضر عند شرف الدين إقبال الشرايبي فشرّفه بلباس الفتوة ، وخلع عليه • وفي السنة نفسها حضر عنده بالبدرية أيضاً عبدالله الشارمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة^(١) •

٦ - هبات الشرايبي :

ولما وصلت ابنة بدرالدين لؤلؤ لتزف الى زوجها مجاهد الدين أيك المستنصري ، خلع الخليفة على مجاهد الدين بين يديه • ولما توجه الى داره واجتاز باب البدرية نثر عليه خادم من خدم إقبال الشرايبي أربعة آلاف دينار في طبقين من فضة • ومن الغد عرضت عليه الهدايا من جميع الزعماء ، وأرباب الدولة ، وخدم الخليفة ، وسائر المماليك ، ثم الوزير ، وإقبال الشرايبي ، وأستاذ الدار ، والدويدار الكبير • وكانت اولى الهدايا هدية شرف الدين إقبال الشرايبي الخاص • وكانت خمسة عشر فرساً من العربيات السَّبْق ، مجللة بالثياب ، وكمية كبيرة من فاخر الثياب الأطلس في ستين بقسجة^(٢) • وصندوق لطيف قيل إنه كان به من أنواع الطيب ، وستة مماليك ترك ، وما حمله عشرة مماليك من القسيسي ، والسيوف ، وآلة الحرب • فقبل الجميع • وخلع على الخادم الواصل به • وأعطاه خمسمئة دينار^(٣) •

وذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٤ هـ أن الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ أرسل خادمه بشراً ومعه نفران من رماة

(١) الحوادث الجامعة ص ٩٠ - ٩١ • وترد « الشارمساحي » والصحيح ما ذكرناه •

(٢) « البقجة » كلمة فارسية معناها الصرة من القماش توضع فيها الثياب ولا تزال مستعملة عندنا بهذا المعنى حتى اليوم •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٥٢ - ١٥٣ •

البندق^(١) الى بغداد ومعهم طائر قد صرعه وانتسب ذلك الى شرف الدين اقبال الشرايبي . فقبله وأمر بتعليقه ، فعُلّق تجاه باب البدرية . وأمر أن ينثر عليه الفادينار . ثم خلع على الخادم ، والواصلين صحبته . وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار .

ومن هباته ما ذكره أبو الحسن الخزرجي قال :

في يوم الأربعاء ١٨ شعبان سنة ٦٥١ هـ ولد للخليفة المستعصم بالله ولد سماه محمداً وكانه بأبي نصر ، فحضر خادمان وبشراً شرف الدين الشرايبي فخلع عليهما خلعتين مذهبتين وأعطى كل واحد منهما خمسمئة دينار . ونفذ للمقابلة بألف دينار . وخلع على كثير من الحواشي ، وأرباب الخدم . وفرق الأموال الجزيلة . قال ابن الخازن : وفي هذه السنة عمت الخلع خلقاً كثيراً زيادة على المعتاد ووصل اليّ من ذلك خمس خلع^(٢) .

٧ - اخلصة للمستنصر :

وللشرايبي مواقف رائعة تدل على التصرف الحسن ، والاخلاص للخليفة المستنصر . فقد ذكر صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٣٧ هـ أن قطب الدين سنجر بن عبدالله المستنصري هرب من بغداد ومعه جماعة من

(١) البندق : كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو هو الطين المدور المملق يرمي به الصبيان عن القوس . وكان رماة البندق في العصر العباسي يخرجون الى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة . وكان لرماة البندق زي خاص ، يمتاز بسرراويل كانوا يلبسونها ، ويسمون بها سرراويل الفتوة ، وينتسبون الى الناصر برمي البندق . وكان الخليفة يلبس الناس السرراويل بنفسه . وحرمت الفتوة على الناس الا من لبس سرراويلها منه . ومنع الرمي بالبندق الا لمن ينتسب اليه .

وقد تفتن الناس في رمي البندق بالمزاريق ، والانابيب . وظلت هذه العادة في زمن الظاهر ، والمستنصر ، والمستعصم . وكان اقبال الشرايبي هو الذي يشرف الناس بلباس الفتوة نيابة ، ووكالة عن الخليفة بالبدرية .

(٢) المسجد المسبوك . الورقة ١٨٢ . راجع عن هباته الكثيرة الورقة ١٦٩ من كتاب المسجد المسبوك .

الممالك متوجهين الى الشام • وكان سنجر أولاً مملوكاً لامرأة تعرف بعائشة
اليتيمة ربيبة الخليفة الناصر لدين الله ، ربه وأدبته • فلما بويغ المستنصر
بالله ، تقربت به اليه وسأله قبوله فقبله • وحظي عنده • وصار من جملة
الخواص • وزوج بجارية • وأعطى أموالاً كثيرة • ويظهر أنه اعتر
فأستفسد جماعة من الممالك • وتوجه قاصداً بلاد الشام ، فاتفق أن أبا
علي بن غنم أمير عرب الشام قد وصل الى الحديثة لمهم له • فلما
بلغه أمر سنجر مضى في طلبه ، فوجده قد رفع وراءه سنجقا وهو في صورة
رسول ندعاه الى النزول ، وكان بالقرب من بيوته ، فلم يجب • وطال
الكلام بينهما ، وأفضى الى المحاربة • وتم القبض عليه ، وعلى أصحابه •
وغنموا ما معهم • فاستجار سنجر بزوجة ابن غنم فأجارته • وقالت
لزوجها : إما أن تطلقه ، أو تمضي الى الخليفة وتستوهب خيافته •
فأخذته ووصل به الى بغداد تحت الاستظهار^(١) راكباً على حمار ، وفي
رجله سلسلة ، وكذلك أصحابه • فأوقفوا في باب البدرية الى الليل •
وباتوا هناك • وجلس إقبال الشرايبي من الغد ، وأمر بإحضارهم • فلما
حضروا قال له : يا سنجر ، أي شيء سؤلت لك نفسك الخبيسة ؟ ولمن
خطر لك أن تخدم بعد الخليفة ؟ وقد رباك ، وأحسن اليك ، وأذناك من
سُدته • فقابلت ذلك بما أنت أهله • فبكى واعتذر • وقال : الخطأ منا ،
والعفو منكم • فقال له : قد عفي عنك وعن الجماعة • وتصدق عليكم
بأرواحكم • وأمر برفع السلاسل من أرجلهم • ثم قال : ليس الحلم والعفو
ببعيد عن أمير المؤمنين • وليس الغدر والخيانة بعيدة من هذا القليل • ثم
أذن لهم في التوجه الى بيوتهم • وأعيدت عليهم معاشهم^(٢) •

ويرجع السبب في العفو عنهم الى أن ابن غنم عندما وصل بهم
مخفوفين الى بغداد أراد الوزير أن يخلع عليه فقال : لا ألبسها حتى
يُعفى عن سنجر ، فإن للذمة العربية حرمة لا تخفر • فأجيب سؤاله •

(١) تحت الاستظهار أي علناً بقصد التشهير • ويقال : غير مستظهر

بسلاح : أي لم يكن معه سلاح •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٢٨ - ١٢٩ •

وعفي عن سنجر • وأحضر ابن غنام الى البدرية ، وخلع عليه • وشرف بلباس الفتوة من الخليفة^(١) .

٨ - رعاية الشرايين للعدائين والرياضيين :

ويظهر أن شرف الدين الشرايين كان يهوى السعاة والعدائين ويعنى بأمرهم • فقد ذكر ابن وهّاس^(٢) في حوادث سنة ٦٢٥ هـ قال : وفيها جرى الكوثر الساعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة • ووصل الى باب سوق البصلية قبل غروب الشمس بساعة • ورزق قبولاً عظيماً • واعطي خلعاً ، وأموراً من الدولة ، والتجار • ومن جملة ما حصل له نيف وعشرون فرساً • ومن القماش بألف وسبعمئة دينار • ومن الذهب خمسة آلاف واربعمئة دينار • ولازم خدمة الشرايين •

وذكر صاحب الحوادث في أخبار سنة ٦٤٣ هـ • أن الشرايين كان استاذاً للعداء معتوق الموصلية المعروف بالكوثر الذي كان يسابق عداء آخر هو علي ابن الاربلي • وكان الخليفة المستعصم بالله ، وأولاده ، وإقبال الشرايين يخرجون للتفرج عليهما • فقد جاء في الكتاب المذكور ان معتوقاً الموصلية جرى من داقوقاً^(٣) الى بغداد ساعياً على قدميه في سنة ٦٤٣ هـ فوصل كشك الملكية^(٤) ودخله • وكان الخليفة هناك ، ومعه الشرايين وهو أستاذة ، ثم خرج من الكشك ، وعاد الى الوقف • ثم رجع الى الكشك وقد تخلف من النهار ساعة ونصف الساعة • فقبل الأرض بين يدي الخليفة • فتقدم له بخمسمئة دينار • وأعطاه الشرايين ثلاثئة

(١) الحوادث الجامعة ص ١٣٠ • وجاء في الوافي ج ١٣ الورقة ١٧٢ : لما اخذت بغداد كان هو في جملة من هرب منها ووصل الى الشام • وكان محترماً في الدولة الظاهرية • توفي سنة ٦٦٩ هـ •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٤٣ • وباب البصلية هو « الباب الشرقي » اليوم •

(٣) داقوقاً : هي طاووق احدى المدن العراقية في لواء كركوك اليوم •

(٤) الكشك : كالمناظرة بناء يجلس فوق سطحه للتفرج على سباق الخيل ، أو العدائين ، أو استعراض الجيوش • اما الملكية فيظهر أنها من قرى بغداد بالقرب من هذا الكشك الذي ربما كان قريباً من باب الحلبة أي باب الطلسم بسور بغداد الشرقية •

دينار • وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير (١) •

وجاء في المسجد المسبوك وفي كتاب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٤٦هـ عن علي ابن الربلي أنه سعى على قدميه من داقوقا الى بغداد أيضا فوصل بعد العصر من يومه • وسبق معتوقا الموصللي المعروف بالكوثر بنصف ساعة وسبع دقائق • ودار حول الكشك شوطا ، الى حين وصوله • وكان ممن خرج الى انفرج عليه : الخليفة المستعصم وأولاده • وجلسوا في الكشك الى حين وصوله • وكان « علي » المذكور مختصا بخدمة الأمير مبارك ابي المتقّب ولد الخليفة • فأمر له بفرس من مراكبه الخاصة ، وخلعة ذهب • وأنعم عليه أيضا بخمسمئة دينار غير ما حصل عليه من الزعماء والممالك • ودار من الغد في البلد بالطبول ، والبوقات على الأكابر ، والأعيان ، وأرباب المناسب • فحصل له شيء كثير من الخلع ، والخيل ، والثياب ، والذهب ، والفضة وغير ذلك (٢) •

وذكر ابن وهّاس في أخبار سنة ٦٤١هـ أن انسانا ببغداد لعب على جبلين يرتفعان عن الأرض نحو أربعين ذراعا فكان يمشي عليهما مشياً سريعاً ماضياً وراجعا الى وراء ، وفي رجله قباقب ، وعلى رأسه طفل صغير قيل : انه ولده • ثم أخذ سيفاً مشهوراً وتركه معرضاً على الجبل • وقام على أمّ رأسه ، ورفع رجله • وجعل يلبس سرواله ويخلعه مقلوباً - • ثم أخذ جرة مملوءة ماء وجعلها على رأسه • ومشى بها مهرولاً من أول الجبل الى آخره ، وفي رجله القباقب ، وعلى رأسه الجرة • ثم رماها وتعلق بالجبلين بابهام رجله • ولعب لعباً يذهل العقول • فلما فرغ من لعبه ونزل الى البدرية خلّع عليه وأعطى فرساً ومثني دينار • ثم مضى الى بيوت الأمراء فحصل ما يزيد على ثلاثة آلاف دينار (٣) •

- (١) الحوادث الجامعة ص ٢٩١ : وفي المسجد المسبوك : معيقوق الموصللي بدلا من معتوق ، والكوير بدلا من الكوثر • ولاشك في ان تصحيحنا حصل في المصدر الاخير راجع الورقة ١٧٥ •
- (٢) الحوادث الجامعة ص ٢٢٤ والمسجد المسبوك : الورقة ١٧٥ •
- (٣) المسجد المسبوك ص ١٦٣ • والذراع تساوي نصف المتر •

٩ - عناية الشرايبي بحمام الزاجل :

يظهر أن الشرايبي كان يعنى بتدريب حمام الزاجل لاستخدامه في الشؤون العسكرية كمثل الرسائل في أثناء حروبه مع المغول ، كما ذكرنا ذلك في حياته العسكرية . ونضيف هنا أن مؤلف الحوادث الجامعة ذكر في أخبار سنة ٦٤٤هـ أن الطيور الحمام التي للشرايبي سبقت طيور النقيب الطاهر قطب الدين الأقساسي^(١) . وإلى ذلك يشير كاتب الأبناء ، العدل ، موفق الدين القاسم بن ابي الحديد المدائني في أبيات منها :-

أرسل الطاهر النقيب طيورا لسباق فلم يفزُ بمسراد
وطيور المولى الشرايبي جاءت وطيور النقيب في كل وادي
ما حداها على التأخر إلا طلب الخمس من طباق الزاد
ومن قصيدة يمدح بها الخليفة المستعصم معرّضا بالنقيب المذكور
أيضا :

ما كان يغلط الطائر لك مرة فيجيء عاشرَما لدى إرسالها
وسواك لو حمل الدجاج مسابقا سبقتك طائرة على إرسالها
١٠ - ثروة الشرايبي ووكلاؤه :

يظهر أن شرف الدين الشرايبي كانت له ثروة طائلة اكتسبها من علاقته الشديدة بالمستعصم . إذ لم يمض غير أربع سنوات على تقرب المستعصم له ، وجعله شرايبياً عنده ، حتى كانت له أملاك واسعة يديرها وكلاء خاصون . وقد زادت هذه الثروة جدا في خلافة المستعصم . ومما يدل على هذا الثراء ، وتلك الأموال :

١ - انه كان يمتلك بستانا بالمحوّل جاء ذكره في كتاب الحوادث الجامعة عند زيارة المستعصم له^(٢) ، ويعرف بـ « السمكة » . كما كانت له بالحلة دار وبغداد ديوان .

(١) نسبة الى اقساس وهي قرية من قرى الكوفة ينسب اليها جماعة من العلويين .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٧١ وقد وردت فيه « السمكة » ولعل صحيحها « السمكة » كما وردت في تاريخ العز الاربلي « راجع الموسيقى العراقية ص ٣٠ » . والمحوّل : بلدة حسنة نزهة ، كثيرة البساتين ، والفواكه ، والاسواق ، والمياه . بينها وبين بغداد فرسخ أي نحو خمسة كيلومترات . راجع « ياقوت ج ٥ ص ٦٦ » .

٢ - هباته ، وخلعه الكثيرة التي وردت مفصلة في كتاب العسجد المسبوك ، وفي كتاب الحوادث الجامعة أيضا ، في أماكن عديدة منهما ، ذكرناها في هذا الكتاب بحسب المناسبات التي خلعت فيها . وتجد في الفصل السادس تفصيلات مهمة عنها .

٣ - ما أنفقه من نفقات كبيرة جدا على مدارسه الثلاث ببغداد ، وواسط ، ومكة .

٤ - ما أنفقه على بناء جامع بواسط ، ورباط بمكة .

٥ - ما أنفقه على البرك ، وعيّن عرفة بمكة لتيسير الماء للمحاج .

٦ - ما أوقفه من وقوف حسنة على المؤسسات والمنشآت التي عملها ببغداد ، وواسط ، ومكة المكرمة .

وكان لا بد لإدارة هذه الأموال من وكلاء يقومون مقامه ، للحفاظ عليها ، وتميئتها والصرف على الوجوه التي يقررها . وقد عثرنا على ستة من هؤلاء الوكلاء نذكرهم بحسب سني وفاتهم على الوجه الآتي :-

الأول : سليمان الأزجي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ :-

وقد ترجم له ابن الفوطي ، لكنه لم يصرّح بأنه تولى إدارة أعمال الشرايبي ، وإنما ذكر أنه انضم إليه ، فقال كان : عميد الدين أبو الربيع سليمان الأزجي الوكيل « يعاني خدمة البساتين والعمل فيها . وقد تقدم بذلك عند الخليفة الناصر ، فقدمه وألحقه بالمتصرفين . وولاه نظارة الخالص . وجعل إليه أمر الصحاري والبساتين . ولما ولي الظاهر قربه وادناه . فلما كانت خلافة المستنصر انضم إلى شرف الدين أقبال الشرايبي ، وصار متقدما السبيل إلى مكة إلى أن توفي فيها سنة ٦٢٩ هـ^(١) .

الثاني : ابن سميئة المتوفى سنة ٦٣٩ هـ :-

وقد رتب وكيلا للشرايبي سنة ست وعشرين وستمئة . وبقي على وكراله نحو ١٤ سنة أي حتى وفاته سنة تسع وثلاثين وستمئة ، في سابع عشر شعبان . ودفن تحت قدمي والده بوصية منه . ورثني بأشعار كثيرة .

(١) التلخيص ج ٤ : ٩١٨ .

وقد ترجم لهذا الوكيل كل من ابن الفوطي^(١) في تلخيصه ، وابن وهّاس الخزرجي^(٢) في عسجده ، والمنذري في التكملة : فذكروا انه : عون الدين أبو محمد عبدالرحيم بن ضياء الدين أبي أحمد عبدالوهاب بن علي بن علي بن عبدالله المعروف بابن سكينه البغدادي الصوفي . وكان شابا جميلا من بيت معروف بالتصوف ، والرواية ، والعبادة ، والأفضال ، مشهور بالرياسة والتقدم والتصرف^(٣) . وقد وصف بأنه كان حسن المعتقد ، كثير الخوف من الله تعالى ، سريع الدمعة ، رقيق القلب . وكان باطنه خيرا من ظاهره ، لله عز وجل وللمناس ، قليل الوقعة فيهم ، كثير الصدقة ، متحرّياً في اخراج ما يجب عليه . وكان كثير الحرص على الدنيا ، مجباً لها ، مؤثراً لجمع المال ، وتكثيره . ولم يحفظ منه بطايل .

وكان والده شيخ الشيوخ في وقته . قال ابن الفوطي : ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتب شيخنا برباط العميد فجمّله ، وزينه ، وشحنه بالصوفية . قال : وفي جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمئة رتب عون الدين وكيلاً لشرف الدين إقبال الشرابي ، وحظي بالقرب منه . وكان سهل الأخلاق ، حسن العشرة .

وكان مولد عون الدين في جمادى الآخرة سنة ٥٩٦هـ . ووفاته في ١٧ شعبان سنة ٦٣٩هـ . عن ثلاثة وأربعين سنة . ودفن تحت قدمي والده بوصية منه . ورتاه الشعراء بأشعار كثيرة .

ويظهر انه كان للشرابي وكلاء آخرون يشير اليهم مؤلف كتاب الحوادث^(٤) حين يذكر أن فخر الدين ابن الدوامي المتوفى سنة ٦٥٢هـ . كتب اليه قصيدة يسأه أن يُمكّنه من ابتياع دار كانت مجاورة لداره ، وقد استصلحها وكلاؤه . منها :

ياملك الدنيا وياواحد الدهر ويا من نداء كالغيث جاري

(١) التلخيص ج ٤ ص ٩٨٠ - ٩٨١ الترجمة ١٤٥٠ .

(٢) العسجد المسبوك الورقة ١٥٩ في وفيات سنة ٦٣٩هـ .

(٣) التصرف : ادارة شؤون البلاد .

(٤) ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

وتصدق بها وعش في نعيم أمنأ من شوائب الاكدار

الثالث : عمر الدورقي المتوفى سنة ٦٤٨ هـ :-

وقد سماه ابن الفوطي : وزير الشرايبي وهو الذي بنى له المدرسة الشرايية بواسطة^(١) . وكان يدير له اموره وأمور جنده . وجدد جامعا بواسطة كان دائراً . وانشأ رباطاً الى جانبه . وانشأ قريباً من المدرسة الشرايية رباطاً آخر على شاطئ دجلة . وكانت وفاته سنة ٦٤٨ هـ .

الرابع : الشهاب ريحان المتوفى سنة ٦٥١ هـ :-

وهو الذي بنى له المدرسة اشرايية بمكة سنة ٦٤١ هـ^(٢) .

الخامس : ابن عبدوس المتوفى سنة ٦٥٣ هـ :-

وهو عزالدين حسين بن عبدوس الذي ذكره ابن وهّاس الخزرجي في المسجد المسبوك في حوادث سنة ٦٤٢ هـ وذلك عندما جهزت الاقامات وهي المؤن لتلقي أم الخليفة المستعصم السيدة هاجر عند عودها من الحج سنة ٦٤٢ هـ^(٣) وورد ذكره في الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٢ هـ باسم عزالدين حسن بن عبدوس حين أرسله الشرايبي الى واقصة لتلقي والدة الخليفة عند عودها من مكة^(٤) .

وقد ترجم له ابن الفوطي في التلخيص^(٥) فقال :

عزالدين أبو عبدالله الحسين بن عبدوس بن محمد البغدادي ، وكيل الشرايبي ، ناظر الحلة السيفية . ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان من أعيان المتصرفين جلالة ، وخبرة أعمال ، ومعرفة بالعمال . خدم في صباه في مساحة الغلات وقسمتها . وتصرف في أعمال السواد . واستنابه تاج الدين علي ابن الانباري فلم يزل على نيابته الى أن توفي في الايام المستصرية . ثم رتب مخرج الأموال بالديوان . فكان على ذلك الى ان عزّل بان زطينا^(٦) الكاتب . ثم رتب في أعمال الحلة فلم يزل بها . وعين عليه في أعمال شرفالدين إقبال الشرايبي في جمادى الاولى سنة

(١) التلخيص ج ٤ ق ٣ ص ٢٦٧ . وكتابتنا « المدارس الشرايية » ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) اتحاف الورى لعمر بن فهد في حوادث سنة ٦٤١ هـ .

(٣) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٤ .

(٤) الحوادث الجامعة ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٥) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ١٢٣ .

(٦) يرجع نسب بني زطينا الى النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة .

ستة وعشرين وستمئة • ثم جعله وكيلاً في ديوانه • وتوفي بالحلة في
مستهل شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمئة • ودفن بمشهد علي - عليه
السلام - •

السادس : عز الدين العكرشي المتوفى سنة ٦٥٤هـ :-

وقد ذكره ابن الفوطي على الصورة الآتية :

عز الدين أبو محمد حمزة بن ••• محاسن العكرشي الناظر بالحلة •

ثم قال :

« ذكره لي شيخنا جمال الدين أبو الفضل أحمد بن المهنا الحسيني

وقال : « كان قد ارتفع قدره ، وتولى أقطاع شرف الدين أقبال الشرايبي •

ثم أخذ واعتقل بدار الشرايبي شرقي الحلة سنة أربع وخمسين وستمئة^(١) •

وكان بين عمي تقي الدين علي بن مهنا وبينه صداقة • دخلت عليه وكان

قوي النفس فقال لي : « ان اجتمعت بالسيد تاج الدين جعفر بن معية فقل

له عني : هجوتني منذ عشرين سنة بأبيات علق منها بخاطري :

تركت الزراعة من أجلكم ومالي من شركم من مقيل

فمن لي بيوم أغسر الصباح أبل به من اذاكم غليلي ؟

نعم لييل غليله ، الفاعل الصانع • فحضرت عند تاج الدين ، وعرفته

ما قال • فقال : ما أرضى له ••• فكان كما ظن • وتوفي في ذي القعدة سنة

أربع وخمسين وستمئة^(٢) •

١١ - ديوان الشرايبي ودوره ببغداد والحلة ومكة :

يظهر ان ديوان الشرايبي كان قريبا من باب دار الخلافة المعروف

بالبدرية^(٣) أي انه كان على مقربة من المدرسة المرجانية التي هي اليوم

جامع مرجان •

(١) يظهر ان اعتقاله كان بعد وفاة الشرايبي سنة ٦٥٣هـ مباشرة •

ويظهر ان للسيد تاج الدين يدا في اعتقاله •

(٢) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ ص ١٤٥ • وبنو معية من

البيوتات العلوية في الحلة •

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٦٦ وص ٥٠ وينسب هذا الباب الى الامير بدر

مملوك الخليفة المعتضد • وقد ذكر ابن الجوزي (ج ٥ ص ١٤٣) انه هو

الذي زاد في جامع المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية • وكان الى جانب

هذا الباب من خارج سور دار الخلافة دار بدر وسويقة بدر •

ويقترن اسم الشرايبي بالبدرية مراراً عديدة حيث كانت تَفقد عليه الوفود ، والأعيان ، والأمراء ، ومن يشرّفهم بلباس الفتوة ويفتسيهم نياحة عن الخليفة .

وقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة ان علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببغداد خرج في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٦٦٨ هـ لصلاة الجمعة في مسجد عند مشرعة الإبريين قطعنه رجل بسكين عدة طعنات أدخل على أثرها دار بهاء الدين بن الفخر عيسى الأربلي المنشئ . وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرايبي .

ويظهر مما ذكره ابن الفوطي وما ورد في كتاب العسجد المسبوك ان شرف الدين الشرايبي كان له ديوان في الحلة . وقد دخل المستعصم هذا الديوان سنة ٦٤١ هـ ونثر عليه الشرايبي فيه ذهباً كثيراً^(١) . وذكر ابن بطوطة عند ادائه فريضة الحج في سنة ٧٢٧ هـ داراً للشرايبي حول المسجد الحرام بمكة^(٢) ولعله يريد بذلك رباط الشرايبي المشهور .

١٢ - وفاته :

ويظهر مما جاء في الكتاب المسمى بـ « الحوادث الجامعة » ان شرف الدين إقبال الشرايبي عندما كان في خدمة المستعصم بالحلة سنة ٦٥٣ هـ مرض بها ، فحمل الى بغداد في شبابة ، وهو مُشَقَّل . فوصل في سابع عشرين شوال من تلك السنة . وتوفي في ثامن عشره . وصلى عليه في جامع القصر^(٣) . ودفن في تربة أم الخليفة المستعصم^(٤) بباب القبّة، على يمين الداخل . وجلس الوزير ، وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستصيرية .

(١) التلخيص ٤ : ٩١٨ والعسجد المسبوك . الورقة ١٦٣ .

(٢) الرحلة ص ١٤٠ .

(٣) جامع القصر : وهو جامع الخلفاء ببغداد . ويطلق عليه جامع القصر الشريف . وكان انشاؤه سنة ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ بعد رجوع الخلفاء من سامراء . ومن بقاياها اليوم منارة سوق الغزل . واما المسجد الجامع فقد استولى عليه الناس . وما بقي منه ادخل في شارع الجمهورية . وتقوم مديرية الاوقاف العامة بتشبيده مجدداً .

(٤) تربة أم الخليفة المستعصم : اتخذتها السيدة « هاجر » لنفسها في رباطها المستجد الذي كان بشارع ابن رزق الله ، في الجانب الغربي من بغداد ، على شاطئ نهر عيسى ، قرب مقبرة الشيخ معروف الكرخي .

وذكر ابن وهّاس^(١) أن المستعصم توجه في شوال سنة ٦٥٣ هـ هو وأولاده ، وخطاياه الى زيارة المشاهد المقدسة • فمرض شرف الدين إقبال الشرايبي مرضه الذي توفي فيه • وثقل فعاد الخليفة من الحلة بسببه •

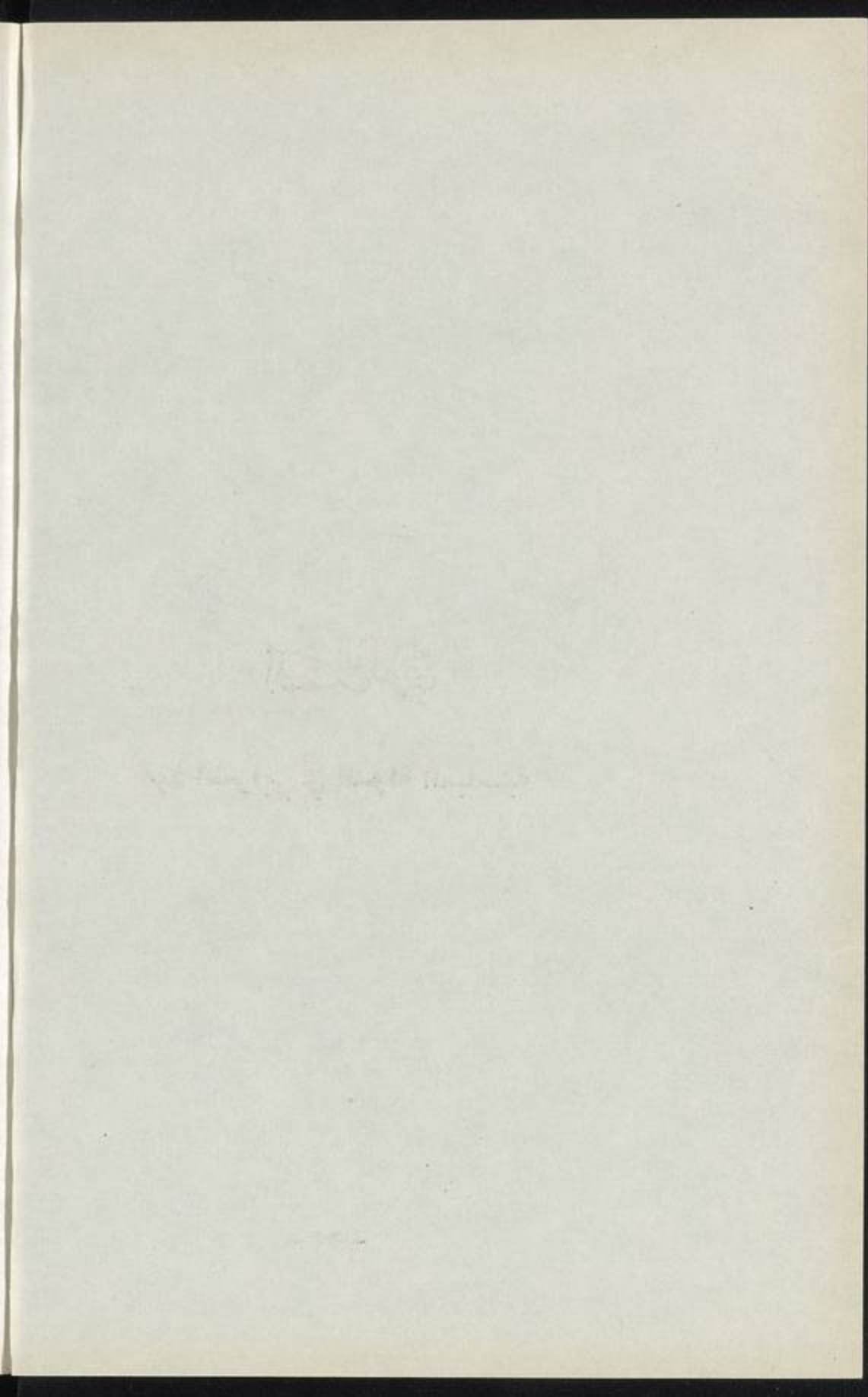
وقال ابن وهّاس أيضا : مات الاستاذ شرف الدين إقبال الشرايبي المستنصري المستعصمي • وكان نجيبا ، سعيدا ، كريما ، حميدا ، جوادا • ذا عطاء وافر ، وبر غامر ، وبشر ظاهر ، مع سطوة عظيمة ، وبسطة شديدة • وكان بطيء الغضب اذا رضي ، وبطيء الرضا اذا غضب • وله آثار حسنة • توفي في يوم الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة ٦٥٣ هـ •

وقد ذكر جميع المؤرخين الذي ترجموا لإقبال الشرايبي انه مرض بالحلة في شوال من سنة ٦٥٣ هـ وحمل من الحلة الى نهر دجلة حيث انزل في شبّارة وأصعد الى بغداد وتوفي حتف أنفه إلا ابن تغري بردي والحافظ الذهبي فقد وهما في تاريخ وفاته حين عدّاه في جملة من قتل في واقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ • فقد ذكر الاول في كتابه «النجوم الزاهرة» من قتل في تلك الواقعة ثم قال «... والخادم إقبال الشرايبي صاحب الرباط بحرم مكة ، والاستاذ معيي الدين ابن الجوزي وولده... واحترقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي كانت في الدنيا... وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمئة...»^(٢) • ومثل ذلك قال الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٨٧ •
(٢) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥١ •

الفصل الرابع

نفوذ الشرابي في الدولة العباسية



يتجلى نفوذ إقبال الشرايبي بوضوح تام في بيعة المستعصم بالخلافة بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠هـ وما بذله من جهود في إقصاء عمه الملقب بالخفاجي عنها كما أسلفنا . ولذلك زادت منزلته عند المستعصم ، وقرب من قلبه^(١) منذ أن افضت الخلافة إليه .

ومما يدل على هذا النفوذ ان الشرايبي كان يلازم الخليفة المستعصم ، ويرافقه في تجواله ببغداد أو خارجها . فقد ذكرنا مرافقته للخليفة عندما خرجت والدة المستعصم الى الحج . وذكرنا انه كان في خدمته في الحلة سنة ٦٥٣هـ عندما مرض المرض الذي توفي فيه . ونضيف الى ما تقدم انه في يوم الخميس خامس عشر شهر رجب سنة ٦٤٠هـ ركب المستعصم بالله في شبارة ومعه شرف الدين إقبال الشرايبي ، وعزالدين مرشد الهندي المستعصمي ، وأصعد في دجلة الى مشرعة الكرخ ، وعاد منحدرًا الى باب الأزج . ثم عاد الى داره . ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل ، وتقدم الى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه ، وقصد دار الحرير . ودخل الرباط . ثم تكرر ركوبه فلم يدع صالحاً ، ولا ولياً الا زاره ، وقصد مشهده . ولا رباطاً منسوباً اليهم الا تردد اليه وقصد المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه استاذه الشيخ شمس الدين علي ابن النسيار ، واعتبر خزانة الكتب التي بها ، وأنكر عدم ترتيبها ، ووكل بالنواب يومين ثم أفرج عنهم . وفي ذي القعدة ركب الى

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .

المُحوّل ، ودخل بستاناً للشرابي هناك^(١) .

ويظهر أن نفوذ الشرابي في الدولة العباسية كان كبيراً مكنه من أن يسيطر عليها ، ويدير شؤونها بجدارة في خلافة المستنصر وابنه المستعصم . ولذلك كان حال الملك في عهده منتظماً بصائب رأيه . فلما توفي سنة ٦٥٣ هـ اختلت الأحوال بعده^(٢) .

ومما يدل على نفوذه أيضاً حادثان ذكرهما مؤلف الكتاب المظنون انه « الحوادث الجامعة » فقد ذكر أن جماعة من المماليك الظاهرية ، والمستنصرية حضروا عند شرف الدين اقبال الشرابي في شعبان من السنة ٦٤٠ هـ للمسالمة عليه على عاداتهم . وطلبوا الزيادة في معاشهم . وبالغوا في القول ، وألحوا في الطلب . فجرد عليهم الشرابي وقال يخاطبهم : ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها^(٣) . فنفروا وخرجوا من فورهم الى ظاهر السور . وتحالفوا على الاتفاق ، والتعاقد . فوقع التعيين^(٤) على قبض جماعة من اشرارهم . لقبض منهم اثنان ، وامتنع الباقيون . وركبوا جميعاً ، وقصدوا « باب البدرية » ومنعوا الناس من العبور ، فخرج اليهم مقدم البدرية . فلم يلتفتوا اليه فنفذ اليهم سنجر الياغر^(٥) فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : « نريد ان يخرج أصحابنا ، وتزاد معاشنا » . فانهى سنجر ذلك الى اقبال الشرابي ، فأعاد عليهم الجواب : ان المحبوسين ما نخرجهم ، وهم ممالينا نعمل بهم ما نريد ، ومعاشكم ما نزيدها فمن رضي بذلك يقعد ، ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد ، فنحن لا نمنعه . وطال الخطاب في ذلك الى آخر النهار ، ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد ، فأقاموا هناك

(١) الحوادث الجامعة ص ١٧٠ راجع ص ٥٨ من هذا الكتاب .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ .

(٤) عيّن عليه : رتب ونصب .

(٥) سنجر الياغر وهو المستنصري . ويرد « الياغر » راجع الوافي ٨

الورقة ١٩٢ وكان ممن هرب الى الشام لما أخذت بغداد سنة ٦٥٦ هـ : راجع

عنه ص ٥٤ - ٥٦ من هذا الكتاب .

مظهريين لدرجيل • فبقوا على ذلك أياما • فاجتمع بهم الشيخ السبتي^(١) الزاهد وعرفهم ما في ذلك من الآثم ومخالفة الشرع ، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم ، وأن يحضّر لهم خاتم الأمان ، ليدخلوا البلد • فحضر عند اقبال الشرايبي ، وعرفه ذلك ، وسأله اجابة سؤلهم • فأخرج لهم خاتم الأمان^(٢) مع الأمير شمس الدين قيران الظاهري ، والشيخ السبتي ، فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ، وحضروا عند الشرايبي معتذرين ، فقبل عندهم بعد أن مكثوا سبعة أيام خارج الأسوار^(٣) •

والحادثة الثانية ذكرها في حوادث سنة ٦٤٣ هـ • وملخصها أن فخرالدين أبا سعد المبارك ابن المخرّمي ، صاحب الديوان ، نفذ اليه من شافهه بالعزل في ١٣ صفر • واستظهر على داره • ووكل بدار أخيه جمال الدين علي ابن المخرّمي الذي قبض عليه أيضا • كما قبض على اخيهما شمس الدين عبدالرحمن وكان مريضاً ، وعلى حاجبي صاحب الديوان وهما : الفخر بن دلال ، والشمس ابن الصياد ، وعلى الاسباسلار^(٤) ابن الشمحل • ثم سلّم جمال الدين علي الى مشرف المخزن •

وفي خامس عشر صفر من السنة نفسها اخرج فخرالدين صاحب الديوان من داره في المطبق^(٥) ومعه ولده كمال الدين محمد • وحَمِيلاً

(١) الشيخ السبتي : هو الشيخ محمد الزاهد المعروف بالسبتي • وفي المسجد المسبوك الورقة ١٧٣ « البستي » وكان امياً سليم الصدر ملازماً للصوم والصلاة ، يساعد من يسأله مالا أو جاهاً توفي سنة ٦٤٥ هـ •
(٢) الخاتم كانت توقع به المواثيق والعهود ومن ثم أصبح دليلاً على الامان والاطمئنان •

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٨ - ١٧٠ •

(٤) الاسباسلار : الطباخ الكبير « راجع صبح الاعشى ج ٤ ص ١٣ » • وهو أيضا الاسفهلار أي مقدم العسكر • وفي صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٣ هو زمام كل زمام ، واليه أمر الاجناد ، والتحدث فيهم • وفي خدمته وخدمة صاحب الباب يقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم •

(٥) راجع الكامل ج ١٢ ص ١٨٩ والمطبق : طريق تحت الارض كان بين قصور الخليفة التي على دجلة وجامع القصر الذي بقيت منه اليوم المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل التي اعيد بناؤها سنة ٦٧٨ هـ •

الى دار عميد الدين بن عباس مُشْرِفِ المَخْرِنِ اَيْضاً • ووكَل بهما عنده
 في حِجْرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ دَارِهِ بِدَرْبِ المَطْبِخِ • ثُمَّ طَلَبَ فخر الدين أَنْ يَكْتُبَ
 خَطَّهُ بِمَبْلَغٍ مِنَ العَيْنِ ذَكَرَ لَهُ مِرَاسِلَةٌ فَامْتَنَعَ ، وَأَبَى أَنْ يَكْتُبَ خَطَّهُ
 الا بَأَنْ يَذْكَرَ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ هُوَ وَأَخْوَاهُ وَأَهْلُهُ ، وَلَا يَخْفِي مِنْ ذَلِكَ
 شَيْئاً • وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ بِالِإِيْمَانِ المَعْتَبِرَةِ شَرْعاً وَعُرْفاً • فَاقْتَنَعَ مِنْهُ بِذَلِكَ •
 وَنُقِدَ إِلَى دَارِهِ مَنْ أَعْتَبَرَهَا^(١) فَلَمْ يَجِدْ بِهَا طَائِلًا • وَوَجَدَ مِنَ الذَّهَبِ
 مَقْدَارَ مِئَةِ دِينَارٍ • وَذَكَرَ أَنْ بَعْضُهَا وَدِيعَةٌ لِيَتِيمٍ عِنْدَهُ • ثُمَّ وَقَعَ الشَّرُوعُ
 فِي بَيْعِ مَا كَانَ فِي دَوْرِهِمْ • وَنُقِلَ فخر الدين ، وَوَلَدُهُ كَمَالُ الدِّينِ إِلَى دَارِ
 بِأَقْصَرِ مِنْ دَارِ الخِلافةِ • وَجُعِلَ مَعَهُ مَنْ يَحْفَظُهُ مِنْ جَانِبِ عَمِيدِ الدِّينِ بْنِ
 عَبَّاسٍ • وَلَمْ يَلْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلِمَةً سِيئَةً • وَلَا نَيْلَ بَمَكْرُوهِ ، كَمَا جَرَتْ
 العَادَةُ فِيمَنْ يَقْبُضُ عَلَيْهِ ، وَيُرَادُ اسْتِثْنَاةُ^(٢) • وَأَفْرَجَ عَنْ فخر الدين ،
 وَأَخُوْتِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، بِشَفَاعَةِ أَقْبَالِ الشَّرَابِيِّ فِي ثَمَانِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ
 سَنَةِ ٦٤٣ هـ بَعْدَ أَنْ أَتَمَّى القَبْضَ عَلَيْهِمْ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ صَفَرِ مِنْ
 السَّنَةِ المَذْكُورَةِ^(٣) •

ومما يدل على نفوذ شرف الدين الشرابي وسطوته ما ذكره ابن
 وهَّاسٍ فِي كِتَابِهِ العَسْجَدِ المَسْبُوكِ^(٤) قَالَ : وَفِي سَنَةِ ٦٣٨ هـ ظَهَرَ فِسادُ عَرَبِ
 خِفَاجَةَ ، وَامْتَدَّتْ أَيْدِيهِمْ بِالنَّهْبِ فِي سِوَادِ الحِلَّةِ • فَخَرَجَ اليَهُمُ الأَمِيرُ بِكُتْمَرَ
 فِي عِدَّةٍ مِنَ المَمَالِكِ وَالْأَجْنَادِ • وَجَدُوا فِي طَلَبِهِمْ فَادْرِكُوهُمْ • فَقَتَلُوا مِنْهُمْ
 جَمَاعَةً وَهَرَبَ الباقُونَ • وَتَرَكَوا طَعْنَهُمْ ، وَنَسَاءَهُمْ ، وَأَوْلَادَهُمْ • فَاطْلَقُوا
 النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ • وَغَنَمُوا الغَنَمَ وَالجَمَالَ • وَكَانَتْ عِدَّةُ الجَمَالِ الفَأِّ وَسِتْمِئَةً
 جَمَلٍ ، وَعِدَّةُ الغَنَمِ نَحْوَ سَبْعَةِ آلافٍ • فَانْعَمَ الشَّرَابِيُّ عَلَى بِكُتْمَرَ بِأَلْفِي
 دِينَارٍ • وَأَعْطَاهُ مِنَ الغَنِيمَةِ مِئَةَ جَمَلٍ ، وَالفَ رَأْسَ مِنَ الغَنَمِ • وَبِيعَ الباقِي •

(١) اعتبر : فتش ، وتحري .

(٢) الاستثناء : المصادرة والابادة .

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٩٦ - ١٩٨ .

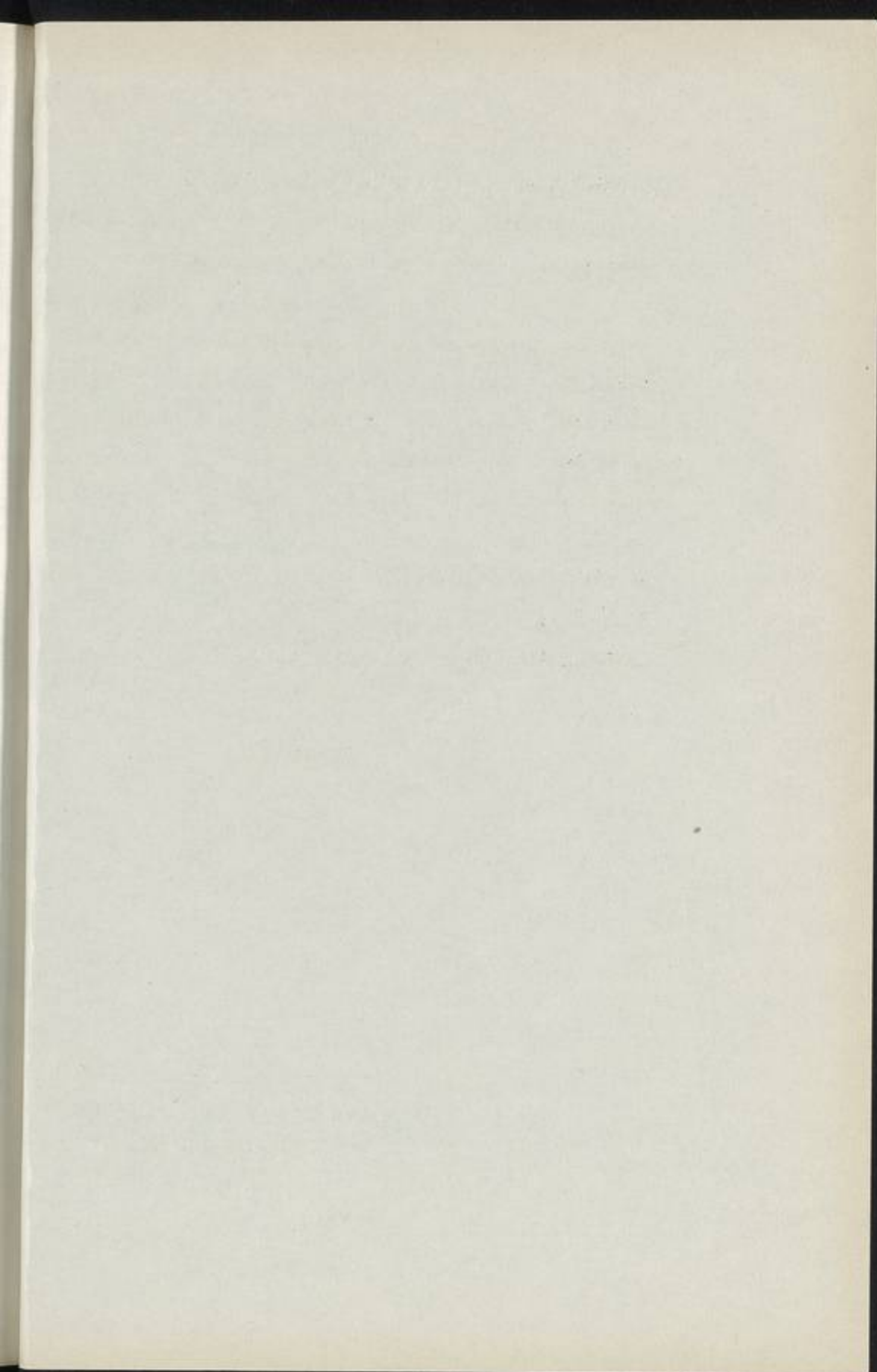
(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٨ .

وفرق على الأجناد والمماليك الذين غنموه .

ومما يدل على نفوذه وسطوته أيضا ما ذكره أبو الحسن الخزرجي في المسجد المسبوك^(١) كذلك حين ظهر في جمادى الآخرة « من سنة ٦٤٨ هـ » اختلال في المخزن ، وقلّ حاصله حتى صارت مهام الخليفة تتعذر عليه في أكثر الاوقات لعدم الحاصل ، وذلك بسبب مزارعه ، ونفوذ أرباب الجهات . وقد ارتفع حساب الديوان بجملة أموال بقيت في ذمة المزارعين من ذوي الجهات وغيرهم . واعترف صاحب الديوان بالعجز عن تحصيلها فبرز الأمر الى اقبال الشرايبي حيثئذ : باحضار الكاتب . فلما حضر سأله عن سبب تأخير استيفاء ما تضمنته الجريدة^(٢) المخرجة من الاموال البواقية فعرض بالوزير وأخيه ، وولده ، وشيخ الشيوخ ، وجماعة من الخدام ، والرؤساء ، وأرباب المناصب ، فأمر الشرايبي عند ذلك باستخراجها . فاستخرجت في أسرع وقت . ومنع أرباب الجهات بعد ذلك من الزروع معنا كليا . فعادت الحال كما كانت أولا . وتوفرت الاموال في المخزن . وكثرت الحواصل بسبب الاجراآت الحازمة التي اتخذها اقبال الشرايبي .

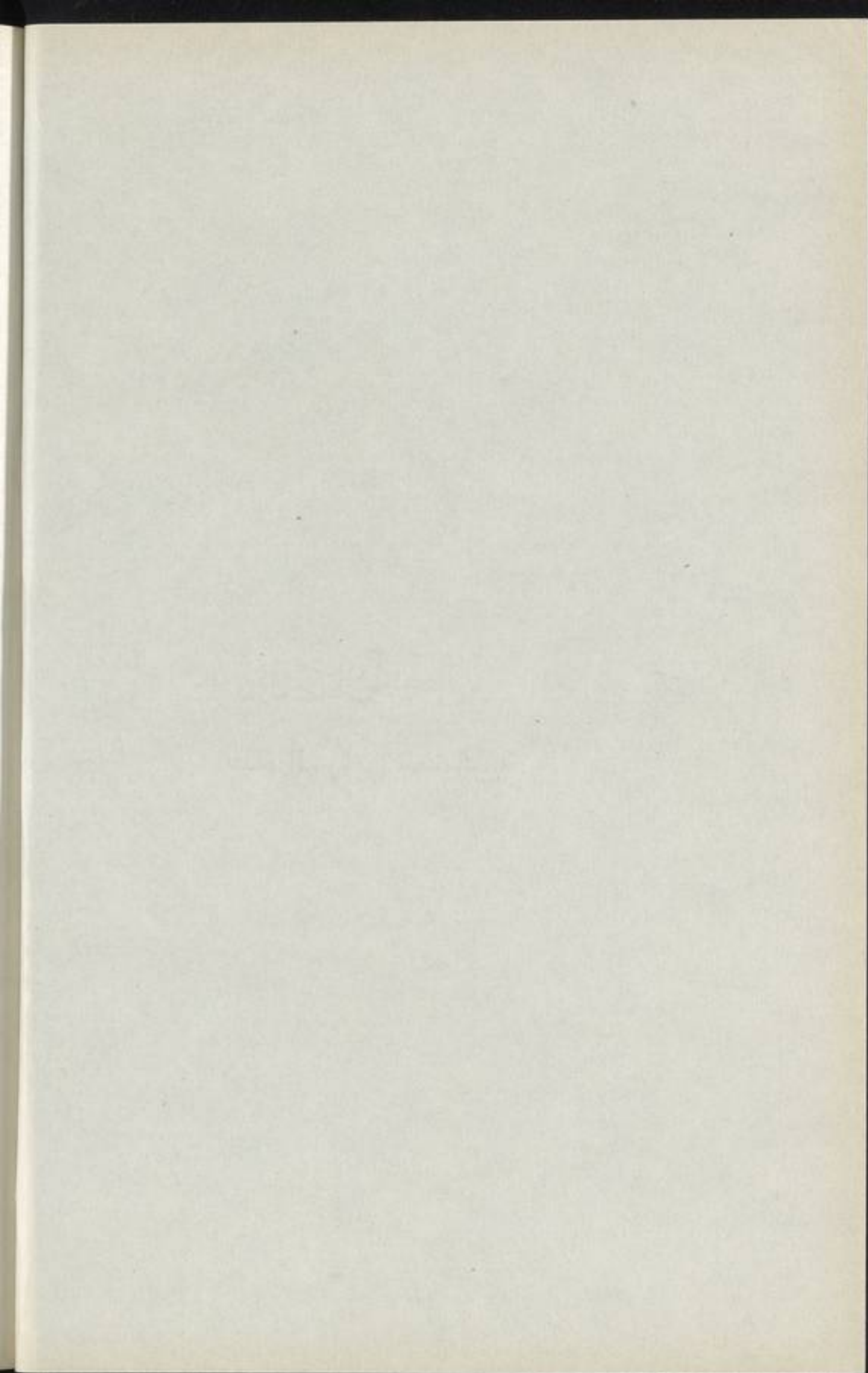
(١) المسجد المسبوك الورقة ١٧٧ .

(٢) يطلق عليها اليوم « القوائم » .



الفصل الخامس

حياة الشرايبي العسكرية



جاء في الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة ، أن المستنصر بالله جعل
اقبالا الشرايبي سرّ خيل العسكر^(١) . وقال عنه عند وفاة المستنصر : وكان
الامر في عساكره ، وأجواده ، وقواده الى شرفالدين اقبال الشرايبي الى
آخر أيامه^(٢) .

وقد استطاع اقبال الشرايبي في خلافة المستنصر ، والمستعصم ، أن
يقوم بأعمال عسكرية مهمة خدم بها الدولة العباسية يمكننا أن نشير اليها
فيما يأتي :-

١ - فتح اربل سنة ٦٣٠ هـ :

نقد ذكر ابن الطَّقَطَقِي^(٣) أن الخليفة المستنصر بالله أرسل الى
إربل سنة ٦٣٠ هـ اقبالا الشرايبي ، وصحبته عارض الجيوش وذلك عند
وفاة صاحبها مظفرالدين بن زينالدين علي كوجك .

ويفضل لنا مؤلف الكتاب المظنون أنه الحوادث الجامعة وابن وهّاس
فتح اربل تفصيلا وافية فقد ذكر^(٤) في حوادث سنة ٦٣٠ هـ : ورود الخبر
الى بغداد بوفاة مظفرالدين أبي سعيد كوكبري بن زينالدين علي كوجك
صاحب اربل . فتقدم^(٥) الخليفة بتعيين جماعة من الامراء للمتوجه الى

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ أي قائد الفرسان . وسر بالفارسية
معناها : رأس .

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٥٧ .

(٣) الفخري ص ٢٩٣ .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٤ - ٤٨ . المسجد المسبوك الورقة

١٤٧-١٤٨ وفي المسجد : انهم توجهوا مصعبين في اليوم الخامس والعشرين
منه .

(٥) تقدم بمعنى أمر . والتقدم : الامر .

إربل • وتقدم الى ظهر الدين أبي علي الحسن بن عبدالله عارض الجيش بالتوجه أيضاً • فتوجهوا مُصْعِدِينَ في الخامس عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة •

ثم يذكر أن شرف الدين أبا الفضائل أقبال الشرايبي توجه بالأسكر الى إربل في ثالث شوال ٦٣٠ هـ وكان مقدم الأسكر الأمير جمال الدين قشتمر^(١) الأنصري فوصلوها بعد عشرة أيام أي في ثالث عشر شوال • وكان في قلعة إربل خادمان هما : خالص وبرنقش^(٢) يظهر أن أمر إربل كان في يديهما ، وقد حاولوا أن تكون لهما السيطرة على من يستولى عليها بعد وفاة زعيمها ، ولذلك لم يكتفيا بمفاوضة جهة واحدة ، بل كتبوا الى الخليفة المستنصر ، والى عماد الدين زنكي مظفر الدين • وكتبوا الى بني أيوب ، وذلك عندما ثقل مظفر الدين في المرض • وكانا يقولان في كتبهم : مَنْ سَبَقَ إِلَيْنَا كَانَتْ مَسْتَنَا عَلَيْهِ • وكتبوا الى الملك الصالح أيوب ابن الكامل أبي المعالي محمد يعلمانه بموته ، ويحثانه على المحي •

ويظهر أن جيوش المستنصر كانت أسرع من غيرها • فلما شاهدها سقط في أيديهما • وعلموا أنه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتعا من فتح البلد • فلما رأى أقبال الشرايبي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دونه عميد الى الحيلة والخديعة • فأستدعى الأمير جمال الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الأمر سؤال • واذا فعلت شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك • فركب في الحال من غير استراحة • ودار ليله أجمع ، حول البلد ، وهم على السور بالأضواء والطبول • ثم قسم البلد على الأمراء • وضرب هو خيمة مقابل أعظم الابواب ، حيث كان أكثر المقاتلة هناك • ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه ، بحيث يسمع كلامهم ، ويسمعون كلامه • • • ولم يزل نهاره كله يرقب ما يعملون ، ويشاهد ما يصنعون • وفي الليل يدور على العساكر • ويحرض على الحراسة والحفظ • والشرايبي يرسل الخادمين

(١) في المسجد المسبوك : قشتم وفي الحوادث الجامعة : قشتمر •

(٢) في الحوادث الجامعة : برنقش ؟

المذكورين ، ويخوفهما عاقبة العصيان ، فسألا أن يؤخرا يومين فأجيبا . وكان غرضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المقدم ذكره . فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر الى أحد زعمائهم وقال له : أخلقتم الوعد . وخوفهم ، وحدّ رهم . فرد عليه جواباً غير مرض . ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوق قريبا من الاطناب^(١) . فطلب الامير قشتمر من جماعة من مماليكه أن يقربوا منهم ، وتحرشوا بهم ، فأخذوا في سبهم ، ورموا بالنشاب الى جهتهم . فما زال الامر يزداد حتى وقع انزحف على البلد وقت العصر . واشتد الرمي من فوق السور بالنار ، وأنواع السلاح . وكثر في الفريقين القتل والجراح . وسار الامير قشتمر حتى وقف على الخندق ، فاشتد القتال حينئذ . وقوي جأش المقاتلين بوجوده . فركب الشرايبي في الأمة^(٢) حربه . ووقف على نشز فأخبر قشتمر بركوبه ، فقصده ، ووقف الى جانبه . وفي ساعة اجتماعهما أخبرا بالنصر والفتح ، وتسليم القلعة . واستولى الجيش على المدينة عشوة . وكعب الشرايبي على جناح طائر من حمام الزاجل^(٣) الى الخليفة المستنصر ببغداد بصورة الحال ، ففرح أهل بغداد ، واستبشروا ، وضربت الطبول على باب النوبوي . وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس . وحضر الشعراء الى الديوان ، وأنشدوا القصائد ، يهنئون بهذا الفتح الذي تم في اليوم السابع عشر من شوال سنة ٦٣٠ هـ .

ويظهر أن الشرايبي بقي بعد الفتح في اربل ، ينظم شؤونها ، الى أن وصل اليها أميرها الجديد وهو شمس الدين باتكين أمير البصرة . وكان الخليفة المستنصر بالله قد تقدم باحضاره ، فوصل الى بغداد في الرابع من

(١) الاطناب والطنب : الحبال تربط بها الخيام وتثبت في الارض .

(٢) الأمة : الدرع .

(٣) حمام الزاجل : ويسمى الحمام الهواذي أو حمام الرسائل . ويستعمل لنقل الاخبار التي تكتب بالبطاقات ولذلك قيل له « حمام البطاقة » أيضا لانها كانت تعلق برجله : راجع الكامل ١١ : ٢٤٦ .

ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ وشافهه نصيرالدين بن الناقد^(١) نائب الوزارة بولاية اربل وطلب اليه أن يتوجه اليها على الفور فوصلها في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٦٣٠هـ . وحضر الأمير باتكين عند شرفالدين اقبال الشرايبي في المخيم بظاهر اربل ، فخلع عليه الشرايبي . وقلده سيفاً . وأمطاه فرساً . وأعطاه كوسات^(٢) واعلاماً . فركب في جمع كبير من الامراء ، والاجناد . ودخل الجامع ، فقرأ عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم ، قرأه عارض الجيش المار ذكره ، وكان قد عين وزيراً له . وركب شمسالدين باتكين الى القلعة ، ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفرالدين . ثم خلع اقبال الشرايبي على ظهيرالدين المذكور ، وعلى المشرف . ورتب معهما كاتباً . كما عين له عارضاً للجيش هناك ، ومشرفاً^(٣) على العارض وخلع عليهما . وبعد أن قرر اقبال الشرايبي القواعد لادارة اربل ، وفرغ مما يريد ، رحل عائداً الى بغداد ، والامراء والعساكر في خدمته . فاستقبل في بلدة المخالص . ونزل بقرية أبي النجم فصلى في أول عيد الاضحى هناك ، ونحر ، وضحى ، ومدَّ سماًطاً عظيماً . ثم رحل في اليوم التالي متوجهاً الى بغداد . فلما وصل ظاهر سوق السلطان^(٤) مما يلي باب المعظم خلع على جميع أصحابه ، ومن كان في خدمته من النواب ، والاتباع ، والحاشية . وخرج اليه جميع الولاة ، وأرباب المناصب ، والامائل ، والاعيان . فلقوه بظاهر السور . ولم يتخلف أحد عن الخروج سوى الوزير . ثم سار حتى وصل دجلة . ونزل عند السنة في شبارة الخليفة . وقبّلها ،

(١) ابن الناقد : أبو الازهر ، عربي هاشمي وهو الذي تولى بناء المدرسة الشرايبيّة ببغداد . وقد تولى الوزارة للمستنصر والمستعصم . توفي سنة ٦٤٢هـ .

(٢) الكوسات : صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص . والكوسي هو الذي يضرب بالصنوج . راجع صبح الاعشى ج ٤ : ٩ ، ١٣ .

(٣) المشرف : هو المراقب أو المفتش المالي ويكون تحت يد الصدور ، والنظار ، والخزان . راجع صبح الاعشى ج ٤ : ١٣ .

(٤) سوق السلطان : أي محلة الميدان الحالية .

وتضرع بالدعاء ، وبكى . فخشع الحاضرون لبكائه . ثم نزل فيها ،
وانحدر الى دار الخلافة^(١) . فتلقي بالاكرام . ثم خلع عليه . وقتل
سيفين . وقدم له فرس فركبه من باب البستان^(٢) ورفع وراءه سنجقان .
وأما الامراء جميعهم ، فانهم دخلوا البلد ، وقصدوا دار الخليفة . ودخلوا
من باب الحرم بموجب ما رسم لهم . وجلسوا في باب الاتراك الى أن
خرج اقبال الشرايبي راكباً قبلوا يده ، ومشوا بين يديه . ثم ركبوا
وساروا في خدمته الى داره بالبدرية . فلما نزل عن مركوبه خدموا ،
وعادوا قاصدين دار نائب الوزارة نصيرالدين بن الناقد فلما لقوه خلع
عليهم أجمعين ، وأعطى كل واحد فرساً بمركب ، وخمسة آلاف دينار .
وأنعم على مَنْ دونهم على قدر مرتبته من الالفين الى الخمسمئة . ثم
خلع على جميع المماليك الناصرية ، والظاهرية ، والمستنصرية^(٣) . وأعطى
كل واحد خمسين ديناراً . ثم أنعم على جميع الجند ، ومماليك الامراء ،
والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر^(٤) .

٢ - الاستيلاء على اربل بعد حصار المغول لها سنة ٦٣٤هـ :

وصلت الاخبار من اربل الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل
في ١٧ شوال سنة ٦٣٤هـ بنزول جيوش المغول على اربل ، وتطويقهم لها ،
وتحصن أهلها ، وغلق أبوابها ، وصمود قلعتها . فتوجه اليها الامير
شمس الدين اصلان تكين الناصري مع ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل^(٥) على
وجه السرعة . فتوجهوا في ٢٠ شوال سنة ٦٣٤هـ . وتوجه بعدهم الامير

(١) دار الخلافة : أي دار الخلافة العباسية ببغداد . وتوصف بالدار
العزيزة النبوية .

(٢) باب البستان : أي بستان التاج بدار الخلافة .

(٣) المماليك المنسوبون الى الخلفاء : الناصر ، والظاهر ، والمستنصر .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٨ - ٥٠ .

(٥) ويقال في مثل هذه الاحوال : ركب جريدة أي دون ان يأخذ معه
حشوداً أو اقلاماً . وفي القاموس الجريدة : الفرقة من العسكر الخيالة التي
لا رجالة فيها .

مجاهد الدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه •• ثم خرج نحوهم
الامير شرف الدين الشرايبي ، ومعهم جماعة من الامراء ، والمماليك •

ولما كانت هذه الحملة في الوقت الذي يتأهب الناس فيه الى الحج
من ناحية ، ولما كان الناس يخشون المغول من ناحية أخرى فقد أرادت
الحكومة اعلان الجهاد ، ولذلك أحضر نصير الدين نائب الوزارة :
المدرسين ، والفقهاء • واستفتاهم فيما اذا اتفق الجهاد والحج فأيهما
أولى ؟ فأفتوا : بأن الجهاد أولى • فأبطل الحج في تلك السنة • وأمر
المدرسون ، والفقهاء ، ومشايخ الربط والصوفية برمي النشاب ،
والاستعداد للجهاد • وولي الامر أيدمر الأشقر الناصري شحنة^(١) بغداد •
ووقع الاستظهار بنصب المجانيق على سور بغداد • وأصلح الخندق •

أما المغول فأنهم نزلوا على اربل ، وحصروها ، ونصبوا المناجيق
عليها : وقصدوا جهة من السور ، فهدموا منه قطعة كبيرة • ودخلوا البلد
عنوة ، وقهرا • فتحصن أهل اربل ، ومعظم العسكر بالقلعة • وقاتلواهم
أشد قتال • وكان بدر الدين صاحب الموصل قد أمد المغول بما يحتاجون
اليه من ميرة ، وآلة وغيرها • وأعوز أهل قلعة اربل الماء • فتلّف منهم
الوف كثيرة بالعطش • ولم يمكن دفنهم لضيق الموضع ، ولا القاؤهم في
الخندق لثلايسد ، فأحرقوا بالنار • ثم عاث المغول في البلد أشد العيث
نهباً ، وأسراً ، واحراقاً وتخريباً • ثم وجهوا همهم الى القلعة • وجدوا
في نصب المناجيق عليها • وكان الامير باتكين يحكم المدينة باسم المستنصر
منذ وفاة مظفر الدين كوكبري ، لذلك سير الخليفة جيوشه كما يقول ابن
ابي الحديد : مع مملوكه ، وخادم حضرته ، وأخص مماليكه به شرف الدين
اقبال الشرايبي • فساروا الى تكريت • فلما بلغهم شخوص عساكر الخليفة ،
رحلوا راجعين الى بلادهم^(٢) ، في سادس ذي الحجة • فورد الخبر بذلك

(١) الشحنة : وهو الذي يتولى أمر الشرطة •

(٢) راجع نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٠ • والوفيات ١ : ٤٣٦ •

والعسجد المسبوك الورقة ١٥٣ •

الى اقبال الشرايبي فرجع ، والعساكر والامراء في خدمته الى بغداد .
فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمئة .

٣ - رد جيوش المغول عن بغداد سنة ٦٣٤ هـ وسنة ٦٣٥ هـ :

قال ابن العبري في أخبار سنة ٦٣٤ هـ : وفيها غزا التتر العراق .
ووصلوا الى تخوم بغداد الى الموضع الذي يسمى زنكاباذ والى سرّ مرّ أي .
فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار ، وشرف الدين اقبال الشرايبي في
عساكرهما ، فلقوا المغول وهزموهم . وخافوا من عودهم فصبوا المنجنيقات
على سور بغداد (١) .

وفي سنة ٦٣٥ هـ استفحل أمر المغول ، فوصلت عساكرهم الى بغداد .
فخرج اقبال الشرايبي (٢) الى لقائهم . وظهر من حُسن تديره ما أوجب
زيادة الانعام عليه . وتفصيل ذلك فيما ذكره صاحب الكتاب الذي سمي
بالحوادث الجامعة ، وابن وهاس الخزرجي : ان المغول قصدوا « دقوقا »
وانبشوا في سنة ٦٣٥ هـ في أعمال بغداد ، وعاثوا بها أشد العيث . فوصل
الخبر الى بغداد فخرج شرف الدين اقبال الشرايبي ميرزا الى ظاهر البلد .
وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب المهدي بان يحرّض في خطبته على
الجهاد . ففعل ذلك وأجاب الناس بالسمع والطاعة .

وقدم أهل السواد من « دقوقا » وغيرها الى بغداد معتصمين بها .
وتضاعفت اجرة المساكن . وانزعج الناس لذلك . وتتابع خروج الامراء ،
والعساكر الى ظاهر البلد . وركب الخليفة المستنصر بالله . . . وظهر
للأمراء . وأمرهم المشورة . فقال كل واحد ما عنده . وسهّل جمال الدين
فشتمر الامر في لقائهم . وعيّن اقبال الشرايبي على جماعة من الامراء
فتوجهوا الى القليعة . ونزلوا بها . فبلغهم ان المغول في جمع كثير وهم
باتقرب من الجبال . فساروا نحوهم . فلما قاربوهم تعبّوا ميمنة ،

(١) مختصر الدول ص ٣٢٨ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٥٤ .

وميسرة ، وقلبا • فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولّوا راجعين • فتبعهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعا كثيرا • وأسرُوا منهم جماعة • وغنموا من دوابهم ، وأتقالهم • وأرسلوا الى الامير شرف الدين اقبال الشرايبي برؤوس كثيرة • فضربت البشارة عند مخيمه • وخلع على الواصلين بالخبر • واستأذن اقبال الشرايبي في دخول بغداد فأذن له • فدخلها في مستهل شهر ربيع الاول من السنة ٦٣٥هـ^(١) هو والامير جمال الدين قشتمر والعسكر •

ولما وصل الخبر في آخر شهر رجب المبارك : أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد ، صدرت الاوامر الى قواد الجيش بالخروج الى ظاهر البلد • فخرج الامير جمال الدين بكلك الناصري ، والامير جمال الدين قشتمر وغيرهما من الامراء • وخيموا ظاهر بغداد أي في خارج أسوارها • وقد كاتب الخليفة ملوك الاطراف يستنجدهم ، ويعرفهم الحال • فجاءته الامدادات من بعلبك ودمشق • وكان أول من وصل في شهر رمضان ولدا الملك الأمجد^(٢) بهرام شاه بن فروخشاه صاحب بعلبك ، وهو ابن الملك السعيد شاهنشاه بن أيوب • والملك المظفر عمر ومعهما ألف فارس • فخرج الموكب الى لقائهما مصدراً بحاجب الباب فدخلوا وقبلا العتبة^(٣) فخلع عليهما ، وعلى الامراء الواصلين صحبتتهما • ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور •

ثم وصل بعدهما الملك خضر بن صلاح صاحب دمشق ، ومعهم ستمئة فارس • وبعد استقباله دخل البلد وخلع عليه وعلى أصحابه • وخرج الى ظاهر السور • وخرج شرف الدين اقبال الشرايبي أيضا الى مخيمه ، وتكملت العساكر عنده • ولما تمت تعبئتها أمرهم الشرايبي بالمسير الى لقاء المغول • فساروا في شوال من تلك السنة • وكانت عدتهم سبعة آلاف

(١) الحوادث الجامعة ص ١٠٩ - ١١٠ والعسجد المسبوك الورقة

• ١٥٤

(٢) راجع الوفيات ١ : ٢٤٠ • وفوات الوفيات ١ : ٨١ • والعسجد

المسبوك الورقة ١٥٤ •

(٣) أي عتبة باب النوبي •

فارس • فوصلوا قريبا من جبل خاتقين • وكانت الاستخبارات العسكرية قد أبلغت القائد جمال الدين بكلك ، ان عدة عساكر المغول خمسة آلاف فارس • « وفي المسجد ١٥ ألف »^(١) فلما عرف جمال الدين بكلك ذلك سار ليله أجمع ، ليدركهم نازلين ، فكبسهم • فلما أسفر الصبح ، عبر هو والامراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك • فلما تم عبور القنطرة ، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم • فواقعوهم على تعب وسهر • واقتتلوا قتالا شديدا • وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم • ولم يبق الا القلب • فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم • وأحاطوا بعسكر بغداد الذي كان يتتبع فلول المنهزمين من المغول • فانهمزمت حينئذ عساكر بغداد • وقتل منهم خلق كثير • وهلك معظمهم جوعا وعطشا • وعاد من سلم منهم الى بغداد • وقتل القائد جمال الدين بكلك ، وطبرس ، وطغرل الحلبي ، وقصر الظاهري ، وبنهاء الدين علي اليربلي ، وكيكلدي بن فرغوي ، وجماعة من كبار الزعماء^(٢) يطول ذكرهم • وكانت هذه الواقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة •

وقد أشار ابن العبري الى هذه الواقعة في أخبار سنة ٦٣٤هـ فقال : وفي آخر هذه السنة عاد التتر الى بلد بغداد ووصلوا الى خاتقين • فلقبتهم جيوش بغداد فانكسروا ، وعادوا منهزمين الى بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير • وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا^(٣) •

وقد وصل الخبر الى بغداد على جناح طائر من حمام الزاجل يوم الجمعة رابعه ، فانقلب البلد وماج بأهله • ووصل اثر الطائر أهل طريق خراسان ، والبندنجين^(٤) وغيرهم منتزحين عن أوطانهم • وقدم ابن أبي

(١) ابن وهاس • الورقة ١٥٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ١١٣ • والزعماء : مفردا زعيم وهو كمتصرف اللواء اليوم وهم هنا قادة الجيش وامراؤه •

(٣) مختصر الدول ص ٤٢٨ - ٤٣٩ •

(٤) البندنجين : بلدة في طرف النهروان من ناحية الجبل ، وكانت تعد من أعمال بغداد « ياقوت ١ : ٤٩٩ » وهي مدينة مندلي الحالية •

عيسى صدر المخزن ، ومشرفه ، والعمال ، والنواب^(١) . وكثر الرهج ،
 وضج الناس . فقدم الخليفة الى كافة الامراء بالتبريز . وفتحت أبواب
 السور فخرجوا في تلك الليلة . وخرج اقبال الشرايبي^(٢) . ويظهر أنهم
 خيموا جميعهم ظاهر الاسوار . وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر ،
 فبلغ الشرايبي ذلك فركب عَجِلاً للمقائه . فظن الناس ان الشرايبي انما
 فعل ذلك لأمر حدث . فركب معظم العسكر منزعجين . ووصل الخبر الى
 عوام البلد وخواصه . فخرج اكثرهم متسلحين ، فلما عرفوا حقيقة الحال
 سكنوا واطمأنوا .

أما المغول فانهم حازوا الغنائم . وعادوا راجعين من خانقين . وراسلوا
 الخليفة . فوصل رسوله في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمئة ،
 فأفخذ العدل جعفر بن محمد بن عباس البطاحي ، ناظر التركات ، صحبة
 الرسول الوارد من « جرماغون » مقدمهم . وكان عَوْدَه في سنة سبع
 وثلاثين وستمئة . واجتمع به بالقرب من قزوین . وأذن لاقبال الشرايبي ،
 والامراء ، والعساكر ، بالدخول الى بغداد ، فدخلوا في آخر شهر ربيع
 الآخر^(٣) .

٤ - رد المغول عن بغداد سنة ٦٤٢هـ و ٦٤٣هـ :

ذكر ابن العبري أن التتر أغاروا على بغداد في سنة ٦٤٢هـ ولم
 يتمكنوا من منازلها^(٤) . ويذكر صاحب الحوادث الجامعة^(٥) انه في المحرم سنة
 ٦٤٣هـ وصل الخبر الى بغداد من اربيل أن المغول خرجوا من همدان في
 ستة عشر الفاً . وقصدوا الجبل^(٦) ، فأمر الخليفة المستعصم بالاستعداد
 للمقائهم ، وتبريز العسكر الى ظاهر السور . فخرجوا على التوادة

-
- (١) النواب : الرؤساء الاداريون .
 (٢) المسجد المسبوك . الورقة ١٥٤ .
 (٣) الحوادث الجامعة من ص ١١١ - ١١٤ .
 (٤) مختصر الدول ص ٤٤٦ .
 (٥) ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
 (٦) هو جبل حميرين .

والهُوَ يَنْسَى • فوصل الخبر ان طائفة منهم قصدوا خاتقين • ووقعوا على جماعة من أصحاب الامير شهاب الدين سليمان شاه بن برجم زعيم الايوائية^(١) • وقربوا من بعقوبا • ونهبوا • وقتلوا • ووصل أهل طريق خراسان • والخالص الى بغداد • فأمر حينئذ باستنفار الاعراب من البوادي • والرجال من الاعمال «الولايات» • وتفريق السلاح • ورفع المناجيق على السور • وخرج شرف الدين اقبال الشرايبي الى مخيمه بظاهر السور • فوصل اليه رسول من الامير فلك الدين محمد بن سُنُقُر المعروف بوجه السبع • وكان بالقلعة • « يَزْك »^(٢) يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له • فركب في الحال • ورتب من يتوجه لمساعدة فلك الدين المذكور • ثم أخذ في تعبئة الجيوش • وترتيبها ميمنة وميسرة • فوصلت عساكر المغول • ونزلوا بازائهم • وجرت بين الفريقين حرب ساعة من نهار • ثم باتوا على تعبئتهم • فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحدا •

ثم ورد الخبر • أن طائفة منهم عبرت الى دُجَيْل • فقتلوا ونهبوا • فنفذ اليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس • وقدم عليهم الامير قزقز^(٣) الناصري • فلما عرفوا بعبور العساكر اليهم رجعوا • ويذكر ابن أبي الحديد^(٤) حركة التتر الى بغداد في سنة ٦٤٣ هـ بالصورة الآتية :

(١) جاء في نهج البلاغة ٢ : ٣٧٠ : سليمان بن برجم • وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايواء وهي من التركمان • وورد في الحوادث الجامعة ١٩٩ «سلمان» بدلا من سليمان وفي المسجد المسبوك • الورقة ١٩٢ : والامير شهاب الدين سليمان بن محمود ملك الايوانية « وقد تقرأ الايوانية » • وفي حديث للاستاذ « فروزنفر » الايراني القاه في احتفالات بغداد والكندي ببغداد « شهاب الدين سليمان شاه بن برجم ايواني » •

(٢) يزك : الطلائع الاستكشافية •

(٣) ويرد الاسم كركر في ص ١١٠ من كتاب الحوادث الجامعة •

(٤) ٢ : ٣٧٠ - ٣٧١ •

ان التتر خرجوا الى بغداد في شهر ربيع الآخر فلما قربوا منها ،
وشارفوا الوصول الى المعسكر البغدادي في ظاهر السور ، أخرج المستعصم
الخليفة ، مملوكه ، وقائد جيوشه شرف الدين اقبالا الشرايبي الى ظاهر
السور . وكان خروجه في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور .
ووصلت التتر الى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بازاء عساكر
بغداد صفا واحدا . وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما . ورأى التتر
من كثرتهم ، وجودة سلاحهم ، وعددهم ، وخيولهم ما لم يكونوا يظنونهم ،
ولا يحسبونهم . فحمل التتر على عسكر بغداد حملات متتابعة فثبت لهم
عسكر بغداد . وكانت بين الجيش مناوشات ، وحملات خفيفة ارتحل التتر
على أثرها ليلا الى بلادهم .

وبعد أن ارتحل التتر أخذت جيوش بغداد تدخل المدينة . ويظهر
أن دخولها كان يجري بترتيب خاص فقد جاء في المسجد المسبوك أن
أول من دخل :

العساكر الذين كان يقودهم الامير مجاهد الدين ابيك المستنصري
الخاص وهو الدويدار الصغير ، ومن انضم اليه ، وذلك في ثاني جمادى
الآخرة .

ثم دخل الدويدار الكبير ومن انضم اليه في الثالث منه .

وفي اليوم الرابع دخلت خزانة السلاح .

وفي الخامس من الشهر المذكور دخل شرف الدين اقبال الشرايبي وهو
آخر من دخل .

وخرج كافة العسكر في لقاء اقبال الشرايبي . كما خرج القضاة ،
والفقهاء ، والمدرسون ، وسائر الولاة ، وحاشية الديوان ، والحجّاب ،
وحضروا خدمته ، وقبلوا يده (١) .

(١) ابن وهاس . الورقة ١٦٧ .

وظل المغول يعيشون بأطراف البلاد • وكان الديوان في شغل شاغل بأمرهم • وكثيرا ما انقطع الحج من العراق بسببهم • ويمكننا أن نشير الى أن المغول في سنة ٦٤٧هـ دخلوا خانقين وما يجاورها ، وقتلوا هناك مقتلة عظيمة • ونهبوا كثيرا من الحيوانات • وجفل الناس عن طريق خراسان ، والخالص • ودخلوا بغداد • وأصدر الديوان أوامره الى الامراء ، والعساكر بالخروج الى ظاهر بغداد كما طلب الى كافة أهل البلد برمي الشباب • وأنذروا بالاستعداد ، وتعليق السلاح في الاسواق ، والخانات ، والدكاكين ، والميت في الاسواق ، واثعال الأضواء بجانب مدينة السلام^(١) • ونفذت الطلائع الاستكشافية ومعها حمام الزاجل ليخبروا بصورة الحال • فعادوا وأخبروا أن المغول رجعوا بعد أن قتلوا في دافوق خلقا كثيرا ، وأسروا جماعة^(٢) ، وأوقعوا في سنة ٦٥٠هـ وقائع كثيرة في الجبال ، والجزيرة^(٣) • وكان اقبال الشرايبي هو الذي يتصدى لهم باستمرار بحزمه وهيمته •

وبعد موت اقبال الشرايبي سنة ٦٥٣هـ أهمل أمر الجيش فتجراً المغول على مهاجمة بغداد ، ولم يمض بعد أكثر من سنتين على وفاته • ففي سنة ٦٥٥هـ وصل هولوكو الى خانقين فبرزت العساكر الى ظاهر بغداد • وكان قد رسم الخليفة ان يكون الاستاذ مرشد الشرفي أحد خدام شرف الدين اقبال الشرايبي في مقام استاذه مقدما على كافة العساكر • فأنف العسكر ، وامتنعوا من ذلك لاسيما مجاهد الدين ايبك الدويدار • وكان ذلك أول خلف وقع به الوهن^(٤) •

ويقول صاحب كتاب الحوادث الجامعة : ان الخليفة أهمل حال الجيش •

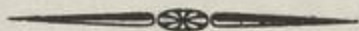
(١) المسجد المسبوك • الورقة ١٧٦ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤١ •

(٣) الحوادث الجامعة ص ٢٦٠ - ٢٦١ •

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ والعسجد المسبوك الورقة ٩٠ •

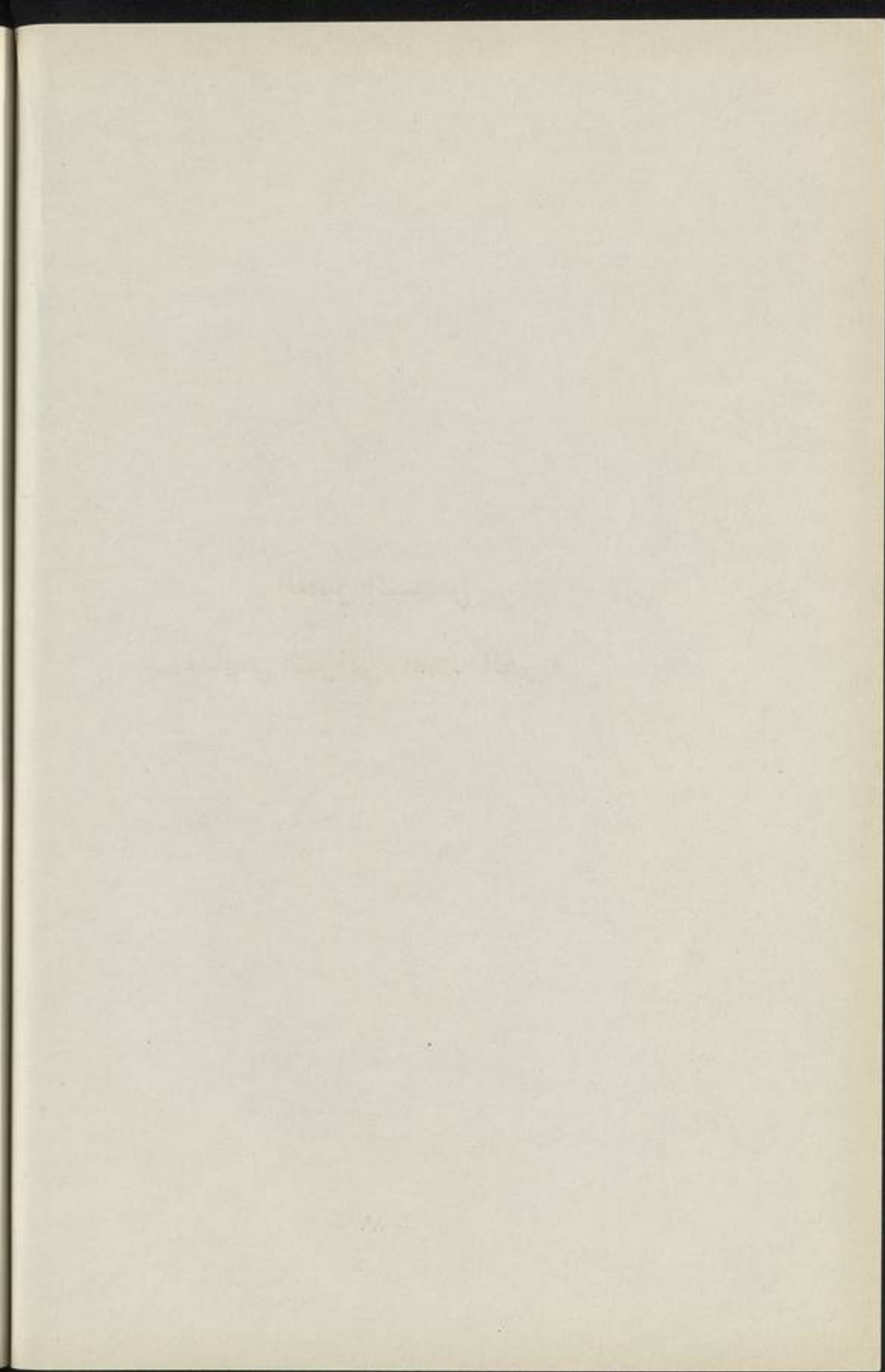
ومنهم أرزاقهم ، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض فألت أحوالهم
الى سؤال الناس ، وبذل وجوههم في الطلب في الاسواق ، والجوامع^(١) .
وتمكن المغول من فتح بغداد في سنة ٦٥٦ هـ ، وقتل المستعصم ، وأكثر آل
البيت العباسي وعدد كبير من العلماء . وانقضاء على الخلافة العباسية ببغداد
الى الابد .



(١) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

الفصل السادس

مدارس الشرابي وأعماله الخيرية



يظهر مما كتبه أكثر المؤرخين الذين بحثوا في سيرة الشرايبي أنه كان أثيراً عند الخليفين العباسيين المستنصر بالله ، والمستعصم بالله كما ثبتنا ذلك في الفصول السابقة . ويظهر لنا أيضاً أنه كان يتقرب الى هذين الخليفين وإلى الناس كافة بإحسانه ، وصلاته^(١) ، وصدقائه . ذكر الصفدي قال : * كان إقبال الشرايبي يُنفذ إلى ابن الساعي الذهب ، ويحترمه . وله في إقبال مدائح ... ،^(٢) .

وقد عرف الشرايبي أيضاً بخدمة العلم ، والدين ، وبالاعمال الجليلة الأخرى التي كان يقوم بها ، كبناء المدارس ، والربط ، ووقف الأوقاف الكثيرة عليها .

ولقد اجمع المؤرخون الذين ذكروناهم في الفصل الأول من هذا الباب على أن شرف الدين الشرايبي بنى ثلاث مدارس في العراق والحجاز .

الأولى بناها ببغداد في خلافة المستنصر بالله . وتكامل بناؤها في شوال من سنة ٦٢٨هـ^(٣) .

والثانية بناها بواسط في خلافة المستنصر بالله أيضاً . وتكامل بناؤها في شعبان سنة ٦٣٣هـ^(٤) .

والثالثة بناها بمكة المكرمة ، وفتحت في خلافة المستعصم بالله سنة ٦٤١هـ^(٥) .

ومن الأعمال الخيرية التي قام بها إقبال الشرايبي الأعمال الآتية :-

- (١) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .
- (٢) الوافي ج ١٢ الورقة ١٢ .
- (٣) الحوادث الجامعة ص ٢٤ - ٢٥ .
- (٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ .
- (٥) الاعلام لقطب الدين ص ١٦٠ .

١ - تجديد جامع واسط - بنى جامعاً بواسط الى جانب مدرسته التي بناها هناك في سنة ٦٣٢هـ^(١) . وجاء في الحوادث الجامعة ان هذا الجامع كان دائراً فأمر بتجديد عمارته^(٢) .

٢ - تجديد رباط مكة - جدد بمكة المكرمة ، الرباط الذي اشتهر به وذلك في سنة ٦٤١هـ^(٣) . وذكر هذا التجديد مؤلف الحوادث الجامعة^(٤) فقال : انه جدد بمكة الرباط الذي اشتهر ذكره في الدنيا . وذكر تقي الدين الفاسي المكي^(٥) أن هذا رباط الامير اقبال الشرايبي المستصري العباسي كان عند باب بني شيبه ، على يمين الداخل من باب السلام الى المسجد الحرام . وتاريخ عمارته له في سنة احدى وأربعين وستمئة . وللشرايبي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادي مرّ ، ونخلة . وذكر^(٦) أيضا بئرا كانت في هذا الرباط .

٣ - بناء عين عرفة - بنى الشرايبي عين عرفة ، التي في الموقف . وأجرى ماءها لارتفاع الحجاج بها . وأوقف على ذلك كله أوقافاً سنة^(٧) .

٤ - بناء البرك التي بعرفة . قال تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ : وبعرفة عدة برك . وغالبها الآن ممتليء بالتراب حتى صار ذلك مساوياً للأرض . وبعضها من عمارة العجوز والدة المقدر^(٨) . وعدا ذلك خمس برك ، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمئة . وبعضها عمّره المظفر صاحب اربل في سنة اربع وتسعين وخمسمئة ،

(١) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ .

(٣) الشذرات ج ٥ ص ٢٦١ .

(٤) ص ٣٠٨ .

(٥) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣١ .

(٦) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ .

(٧) الشذرات ٥ : ٢٦١ والحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .

(٨) اسمها : شغب .

وفيما بعدها • وبعضها عمّره إقبال الشرايبي المستصري في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة • وعمارتهما للبرك^(١) المكتشفة بعين عرفة أيضا • واسم

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠ • جاء في الحاشية المرقمة (٢) من هذه الصفحة ، ان هذه البرك موجودة حتى الآن [سنة ١٩٥٦م] لان ادارة (عين زبيدة) ، قائمة على الدوام باصلاحها ، وتعمير المتداعي منها ، لانتفاع الحجاج بالشرب ، والاستحمام منها • وقد كانت مكشوفة ومعرضة للتلوث فرثي أن تغطي ، ويعمل بدلا منها حنفيات متعددة ، في جميع أنحاء عرفات ، لتعميم المنفعة •

وجاء في كتاب شفاء الغرام :

ان معاوية فيما ذكر الازرقى والفاسي قد أجرى في الحرم عيونا واتخذ له أخيافا • وكان حواط وفيها الزرع والنخل • وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وزهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها فعملت واحييت ، وصرفت من عين واحدة • وكان الناس بعد تقطع هذه العيون في شدة الحاجة الى الماء • وكان أهل مكة والحجاج يلقون في ذلك المشقة وبخاصة في المواسم فبلغ ذلك ام جعفر فأمرت في سنة ١٧٤هـ بعمل بركتها التي بمكة فأجرت لها عينا من الحرم فجرت بماء قليل فلم يكن فيه ري لأهل مكة • وقد عزمتم في ذلك عزمًا عظيمًا فأمرت المهندسين أن يجروا لها عينا من الحيل • ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجدوا فيها فسادا فأنشأت عينا أخرى الى جنبها وابطلت تلك العيون فعملت عينها هذه بأحكام ما يكون من العمل • فلم تزل تعمل فيها وأمرت بالجبل فضرب فيه وانفقت في ذلك من الاموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس حتى أجراها الله على يديها وأجرت عيوناً من الحيل منها عين المشاش • واتخذت له بركا تكون فيها السيول اذا جاءت تجتمع فيها ، ثم أجرت لها عيوناً من حنين واشترت حائط حنين فصرفت عينه الى البركة وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل • وذكر المسعودي انها صرفت على عين المشاش هذه بعد أن أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة نحو مليون وسبعمئة ألف دينار • وجاء في الوافي [ج ٨ الورقة ٨١] • ان زبيدة كانت تقول لو كيلها : عملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار • ويقول الفاسي : ولعل هذه العين هي عين « بازان » • ويعلق محققو الكتاب [في الحاشية ٢ من الصفحة ٣٤٧] بأنها تعرف اليوم بعين زبيدة وهي التي اضيفت اليها مؤخرا عيون حتى أصبحت موردا عذبا لكل سكان مكة وزائريها •

إقبال باق على بعض البرك التي حول جبل الرحمة^(١) .

وتظهر أعمال إقبال الشرايبي الخيرية الأخرى فيما كان ينفقه من أموال طائلة ، وفيما كان يخلعه على الناس في الاحتفالات التي كانت تقام ببغداد ، ودار الخلافة ، في المناسبات والمواسم المختلفة ، وفيما كان يفرق من الرسوم الرجبية ، والوظائف الرمضانية ، وهدايا الأعياد ، أصالة عن نفسه ، ونياية عن الخليفة .

ولهذه الاحتفالات قيمة كبيرة لأنها تزودنا بمعلومات قيّمة عن الحياة الاجتماعية ، وحياة البذخ ببغداد . كما تزودنا بأرقام ، وإحصائيات طريفة عما كان يخرج من المخزن المعمور ، وما يدخل اليه من أنواع الآلات الموسيقية ، والعسكرية ، ومختلف المأكّل ، والملابس وغيرها من الأموال النقدية أو العينية . وهي تشرح لنا كثيرا من العادات ، والتقاليد البغدادية التي لا تزال متبعة ببغداد . كما أننا نجد في الوقت نفسه بعض الكلمات العامية التي ما تزال مستعملة عندنا مثل : كشّ الطلع ، وكليجا ، وبقجة ،

= وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك منهم المستنصر العباسي غير مرة منها مرة في سنة ٦٢٥هـ ومرة في سنة ٦٣٤هـ ومنهم الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبي سعيد وذلك في سنة ٧٢٦هـ . وظلت عين حنين تجري الى مكة ، وعين نعمان تجري الى عرفة فمزدلفة ، ثم الى بئر بقرم مكة . وفي أوائل عهد العثمانيين انقطعت المياه وعادت عين زبيدة الى النضوب فأمر السلطان سليمان القانوني سنة ٩٧٠هـ باصلاحها واصلحت عين حنين وبنيت المجاري التي اوصلت المياه الى مكة .

(١) جبل الرحمة في آخر البسيط الذي يسمى « عرفات » . وفيه وحوله موقف الناس . ويوجد علمان قبله بنحو الميئين . ويقال للاماكن التي أمام العلمين الى بسيط عرفات : « الحيل » أما مادون العلمين فهو : « الحرم » راجع ابن جبير ص ١٥١ .

وفي المنتقى من شفاء الغرام ص ٨٦ من الطبعة الاوربية :

ان الاعلام ثلاثة سقط منها واحد . وفيها أحجار مكتوب في بعضها ان المظفر صاحب اربل أمر بانشاء هذه الاعلام الثلاثة . وفيه مكتوب بتاريخ شعبان سنة ٦٠٥هـ وقال التقي الفاسي : ورأيت مثل ذلك مكتوباً في حجر ملقى في أحد العلمين الباقيين . وفي هذين العلمين مكتوب أمر بعمارة علمي عرفات . وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستنصر العباسي . ثم قال : وذلك في شهر سنة أربع وثلاثين وستمئة .

- والسنبوسج ••• الخ •
ويمكننا أن نصنّف هذه الاحتفالات ، والمواسم التي كان يشارك فيها إقبال الشرايبي الى الأنواع الآتية :
- ١ - الاحتفالات بالأعياد الدينية كعيد الفطر ، وعيد الأضحى •
 - ٢ - حفلات الختان •
 - ٣ - الاحتفالات بموسم الحج ، وتهيئة الأحواض والروايا على دجلة بالجانب الغربي من بغداد •
 - ٤ - حضور ترب الخلفاء بالرصافة مما يلي محلة أبي خنيفة •
 - ٥ - الاحتفال بشهر رجب ، وتوزيع الرسوم الرجبية •
 - ٦ - الاحتفال بشهر رمضان ، وتوزيع الوظيفة الرمضانية •
 - ٧ - حفلات رأس السنة الهجرية في أول المحرم ، حيث كان يجلس الوزير للهناء في الديوان ، ويحضر الشعراء ، ويشدون اقصاد •

الختان :

وسنذكر احدى حفلات الختان الفخمة التي استمرت أكثر من عشرة أيام ، من ليلة اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ الى غاية اليوم السابع والعشرين منه • وكان لاقبال الشرايبي دور مهم فيها • فقد جاء في كتاب المسجد المسبوك^(١) في حوادث سنة ٦٤٤هـ أنه جرى بعد عيد الأضحى يوم السبت ليلة السادس عشر من ذي الحجة ختان السادة الامراء : أبي العباس أحمد ، وأبي الفضائل عبدالرحمن ابني الامام المستعصم بالله ، والأمير علي ابن الأمير أبي القاسم عبدالعزيز بن المستعصر • وختن في خدمتهم غزي ابن الأمير ايبك الخصاص الدويدار الصغير • وغازي ابن الأمير أصلان تكين الناصري • وأحمد ابن الأمير محمد بن ايبك الانباري الناصري • وشرف بمباشرة الختان الحكيم مسعود بن انقس ساعور^(٢) المارستان •

(١) المسجد المسبوك • الورقة ١٦٩ •

(٢) الساعور : العميد والرئيس •

وقد خلّع بهذه المناسبة على الاستاذ إقبال الشرايبي يوم السبت المذكور ، وقُلِّد سيفين • ثم على الاستاذ كافور الظاهري • ثم على جميع الخدم وعدتهم أربعمئة • ثم على الفراشين ، والبوابين ، وحاشية دار التشریفات ، والنواب • ثم على الطيب •

ويذكر ابن وهّاس الخزرجي أيضا^(١) أن ذهباً مبلغه ألف دينار نُشِرَ على فرسين قَدَّمَا بهذه المناسبة للأمير الذي قد يكون علياً بن المستنصر • وقد التقطه الحاضرون • وفي الوقت نفسه نُشِرَ إقبال الشرايبي ألف دينار ، وثياباً قيمتها خمسمئة دينار •

وقد حضر بعد ذلك عند إقبال الشرايبي في باب البدرية ، خلق كثير من المغنين وغيرهم فأنعم عليهم الشرايبي بعشرة آلاف درهم •

وفي يوم الأحد سابع عشر الشهر المذكور حُصِّلَ الأمير علي ابن أخي الخليفة في محفّة مغطاة بأسود ، يحملها مملوكان من مماليك الشرايبي ، وبين يديها إقبال الشرايبي ، وجماعة من كبراء الخدم ، والمطربين • وحُصِّلَ معه عشرة آلاف دينار ، وثياب بما يقرب من ذلك • ثم خلّع على وكيل أخي الخليفة المذكور ، ونواب ديوانه ، وحاشيته ، وخدمه ، وغلمانه •

وخرج غازي ابن الأمير أصلان تكين ، وأحمد بن محمد ابن الأنباري من البدرية • وأعطى كل واحد منهما ثلاثة آلاف ، و « بقجة » فيها فاخر الثياب • وكان ما انفق في هذا الوجه من المال يزيد على مئة ألف دينار •

قال ابن الخازن^(٢) : قرأت بخط متولي مطبخ الاقامات بالمخزن ما هذا صورته : المحمول من مطبخ الاقامات الكريمة الى الباب الشريف برسم المهّم المبارك في شهر ذي الحجة سنة أربع وأربعين (أي في سنة ٦٤٤هـ) من الأجناس • نذكر منها^(٣) :

(١) الورقة ١٦٩ من العسجد المسبوك •

(٢) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٩ •

(٣) لم تصحح ما فيها من أغلاط •

رطل خبزاً فايقا	٢٢٠٠٠٠
قطعة دجاجا	٢٩٠٠
رأس غنم مشوية	١٥٠٠
بيضة	٥٠٩٠٠
رطل سكر ا "بَلُوْجَا" برسم الجَلَاب ^(١)	١٤٠٠
اكرار خشكنان ، وأقراص	٣
صحن حلوى رطبة	١٧٠٠
صحن حلوى يابسة	١٥٠٠
كارات ^(٢) دقيق برسم السنبوسج ^(٣)	٥
رطل شمعا	٥٠٠٠
موكبية ^(٤)	٦١
ظرفا ماء ورد	٧٠
ابريق خزفا	٣٠٠
جرة	٢٠٠
شربة	١٠٠٠
مركتا	٥٠
صحن مهلية	٥٠
رطل فستقا ، وبندقا	٩٠٠

- (١) الجلاب : بتشديد اللام وتخفيفها هو : شراب من غسل أو سكر مخلوط بماء الورد بوزنه أو أكثر . والكلمة فارسية مركبة من كلمتين هما : « گل » بمعنى ورد . والثانية « آب » بمعنى ماء . وهو بالفرنسية julep ص ٤٢ من الالفاظ الفارسية العربية .
- (٢) ما يحمل على الظهر من الثياب . وكارة القصار سميت بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض . ويظهر انبا هنا كيس من الدقيق ، بمقدار معلوم أو وزن معين منه .
- (٣) فطائر مثلثة تعمل من رقاق العجين المعجون بالسمن ، وتحشى بقطع اللحم والجوز . ويطلق عليه عندنا اليوم السنبوسك وهي لغة فيه . راجع : الالفاظ الفارسية العربية ص ٩٥ .
- (٤) الشموع الكبيرة التي تحمل في المواكب للانارة .

سلة فاكهة	٣٠٠
قطعة صور سكر منها : غزال ، وجمالان ، وكباش	٣٠
الجبل ، وزرافة ، وفيل ، وكباش تركية	
نوراً ذهباً وفضة	٥٠

الى آخر ذلك من الأنواع والكميات المختلفة •

وبخطه أيضا : الذي وصل الى المطبخ من الاقامات الكريمة من خزانه
الحوائج المحروسة في التاريخ المقدم ذكره ندرج منها :

ظرف ماء ورد	١٠٠٠٠
رطلا قندا ^(١)	٥٠
رطل لوزا	٢٠٠٠
جرة شيرجا	٥٠
رطل شمعا	٥٠٠٠٠
ظرف ماء الليمون	١٠٠٠
رطل نشا ^(٢)	٣٠٠
ظرفا خل خمر	٥٠
رطلا سُمَاقاً	١٠٥٠
مطابق ماء الحصرم	١٠
رطل حب رمان	٣٠٠
رطل ملحاً	٣٠٠
رطل زعفران	$\frac{1}{2}$
مطاويق ماء الأترج	١٠
صحن خزفا	١٥٠٠

الى آخر ذلك من الأجناس والكميات المختلفة •

وفي السابع والعشرين منه مد شرف الدين إقبال الشرايبي أشياء لطيفة ،

(١) القند : غسل قصب السكر وقد استعملته العرب فقالوا :

سويق مقنود ، ومقند • راجع : الجواليقي ص : ٢٦١ •

(٢) النشا : ما يستخرج من الحنطة اذا نعتت حتى تلين ، ومرست

حتى تخالط الماء ، وصفيت من مناخل وجففت •

وأعلاقاً نفيسة من صامت^(١) ، وناطق^(٢) ، وغير ذلك .

وكذلك الوزير أبو طالب محمد ابن العلقمي ، واستاذ الدار أبو محمد يوسف ابن الجوزي . وولده عبدالرحمن ، والأمير مجاهد الدين ايبك المستنصري ، وصاحب الديوان أبو طالب الدامغاني ، وأبو الفتوح علي ابن الرومي حاجب البساب . وصاحب المخزن يحيى بن المرتضى . ومشرفه منصور بن عباس . والدويدار الكبير الطيرس الظاهري ، والنقيب الظاهر الحسين ابن الأقساسي . وكذلك باقي أرباب الدولة ، والصدور كقاضي القضاة عبدالرحمن ابن الممغاني ، والعارضيين وحاجب باب المراتب . . . ثم سائر الزعماء^(٣) .

ومن حفلات الختان الكبرى ما ذكره ابن وهّاس الخزرجي في سنة ٦٥٠هـ قال : وفي شهر ربيع الآخر كان ختان الأمير الصغير أبي المناقب ابن الامام المستعصم بالله . واستدعي الجماعة الذين ختوا معه الى دار أبيه وهم : الأمير أبو جعفر منصور ابن الأمير السيد أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستعصم بالله ، وكشلوخان ابن الدويدار الصغير ايبك المستنصري . والأميران عبدالله واسحق ابنا الدويدار الكبير الطيرس الظاهري . وزنكي ابن الأمير محمد بن قيران . ونفذ مع ابن أخي الخليفة صندوق من فاخر الثياب ، والزر كمش ما قيمته ٣٠٠٠ دينار ، و ٧ أكياس فيها سبعة آلاف دينار . ونفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار ، وما قيمته ألف دينار . ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك . ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار ، وثياب تناسب ذلك . ثم خلع على الطيب ، وعلى بواب دار التشريفات ، وعلى وكيل الخدمة . وعمت الخلع والمباراة خلقاً كثيراً . ثم عرضت التهاني والمدائح . . .^(٤)

(١) المال الصامت : الذهب ، والفضة .

(٢) المال الناطق : الحيوان من الابل ، والخيول ، والغنم .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٦٩ - ١٧٠ . وقد وردت :

الدامغاني والصحيح : الممغاني .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٠ .

حضور الترب بالرصافة :

ومن التقاليد والرسوم المتبعة في تشييع الموتى ما ذكره ابن وهّاس الخزرجي عندما توفيت السيدة « ست العرب » بنت الأمير أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله . فقد ركب الوزير وكافة ارباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز ، ولا رفع غاشية ، ولا اشهار سيف ، ولا لبس مداس . ثم قال : وخرجت الجنازة محمولة على رؤوس الخدم فصلى عليها شيخ الشيوخ بحضور الخليفة . ودفنت في تربة الرصافة . وحضر الامراء ، والفقهاء ، والقضاة ، والمدرسون ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء . وقرئت الختمة . ودعا الخطيب . وأشدت المراثي والتعازي (١) .

وفي ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ٦٤٥ هـ حضر من جرت عادته بالحضور في ترب الرصافة من ارباب الدولة ، والزعماء ، والمدرسين ، والفقهاء ، ومشايخ الصوفية ، والوعاظ ، والقراء ، والشعراء . ولم يحضر الوزير ولا استاذ الدار لأجل سفر الخليفة (٢) .

وفي شهر رجب سنة ٦٤٦ هـ ركب الوزير متوجها الى ترب الرصافة بعد أن حضر عنده سائر ارباب الدولة ، وذوو المناصب . ودخل على عادته مجتازا بدار المخالفة الى دجلة . ونزل في شبارة مصعدا الى ترب الرصافة ، والجميع بين يديه ، فقرئت الختمة . ووعظ ابن الجوزي . ودعا خطيب جامع القصر . وأشد الشعراء (٣) .

وفي ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ٦٥٢ هـ مضى الوزير وسائر ارباب الدولة وذوو المناصب والأمرء ، والمدرسون ، والقضاة ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، والفقهاء ، والوعاظ والقراء ، والشعراء ، الى ترب الرصافة . وجرت الحال في القراءة والوعظ واتشاد الأشعار على العادة (٤) .

(١) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٠ .

(٢) العسجد المسبوك . الورقة ١٧١ .

(٣) العسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ . لاحظ أيضا الورقة ١٧٧

وغيرها .

(٤) العسجد المسبوك . الورقة ١٨٤ .

الرسوم الرجبية :

ويظهر أن الخليفة وحاشيته كانوا يوزعون صدقات كبيرة في شهر
وجب من كل سنة . ويظهر أن هذه الرسوم الرجبية كانت توزع على
أربابها في غرة شهر رجب بالبدرية^(١) يسلمها إقبال الشرابي الى مستحقيها
من أهل العلم ، وأرباب البيوتات . ففي غرة رجب سنة ٦٤٢هـ فرقت
الرسوم الرجبية بالبدرية على أربابها . وانفصل أهلها داعين^(٢) .

وفي يوم السبت ثامن شهر رجب سنة ٦٤٥هـ فرقت الرسوم الرجبية
من البير المتقبل بالبدرية . وسلمها شرف الدين إقبال الشرابي الى أربابها
بحضور السادة الامراء ، أولاد الخليفة . وأوردت أشعار لبعض أرباب
الرسوم . وقد أشد بهذه المناسبة أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد كاتب
الانشاء في دار الخلافة قصيدة طويلة تجد بعضها في المسجد المسبوك^(٣) .

وفي شهر رجب من سنة ٦٤٦هـ فرقت الرسوم الرجبية من البير
المتقبل على أربابها من يدي إقبال الشرابي^(٤) أيضاً .

وفي رجب سنة ٦٤٨هـ فرقت الرسوم المتقبلة على أربابها من أهل
العلم ، وأرباب البيوتات^(٥) .

الرسوم الرمضانية :

ويظهر ان الخلفاء وكبار رجال دولتهم كانوا يخلعون على الناس على
قدر أحوالهم . وتعد هذه الخلع من صدقات عيد الفطر . وكانوا يشرعون
في توزيعها ابتداء من الخامس والعشرين من شهر رمضان فمابعد . وكان
مجموع ما وزع في عيد الفطر من سنة ٦٤٢هـ مثلاً نيفاً وستة آلاف خلعة

(١) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المسجد المسبوك . الورقة ١٦٦ .

(٣) الورقة ١٧١ .

(٤) المسجد المسبوك . الورقة ١٧٤ .

(٥) المسجد المسبوك . الورقة ١٧٧ .

فيما قاله ابن الخازن^(١) وقد فرقت هذه الخلع من المخزن ، ومن أرباب الدولة على الصورة الآتية :

١ - فرقت خلع المخزن على أربابها في ٢٥ شهر رمضان جريا على العادة ، وجملتها ٢٢٠٠ قطعة • منها : الأتواب الطلس ، والبقاير المذهبة ستون قطعة ، والأتواب الخار^(٢) ، والبقاير القصب الحريرية ٤٠ قطعة • والأتواب الغزلية والبقاير المذهبة ستون قطعة •••

٢ - بلغت خلع شرف الدين إقبال الشرايبي المستصري « ١٨٠٠ » خلعة وزعها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٤٢ هـ • وخلع الدويدار الصغير ١٥٠٠ خلعة في اليوم السابع والعشرين منه • ثم خلع استاذ الدار يوسف ابن الجوزي خمسين خلعة • ثم خلع صاحب الديوان أحمد ابن الدامغاني ٣١٥ خلعة • ثم خلع الدويدار الكبير ٧٠٠ خلعة •

ثم خلع باقي الامراء ، وأرباب الدولة على قدر أحوالهم فكان جملة ما خلع في هذا العيد نيفا وستة آلاف خلعة •

وفي شهر رمضان سنة ٦٤٥ هـ فتحت دور الضيافة في جانبي بغداد • ووضعت الأطعمة لأجل فطور الفقراء • وفرقت الوظيفة الرمضانية من الدقيق ، والغنم ، والذهب لجميع المدارس ، والأربطة ، والمشاهد ، وزوايا الفقراء بالمساجد • وعرضت آتھاني بشهر رمضان^(٣) •

وفي غرة شهر رمضان سنة ٦٤٨ هـ فرقت الوظيفة من الذهب ، والدقيق ، والغنم ، على أرباب المدارس ، والأربطة ، والزوايا جريا على العادة • وفتحت دور الضيافة في جانبي مدينة السلام^(٤) •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٦٦ •
(٢) الخار : النسيج من الحرير تتخذ منه ثياب • ولا زالت الكلمة مستعملة في أسواق الاقمشة •

(٣) العسجد المسبوك • الورقة ١٧١ ، ١٧٢ •

(٤) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٨ •

وفي غرة رمضان سنة ٦٥٢هـ فرقت الوظيفة الرمضانية بالمخزن من الدقيق ، والغنم ، والذهب ، على أرباب المدارس ، والأربطة ، والزوايا ، والمساجد . وفتحت دور الضيافة ، وصنعت بها الأطعمة لفظور الفقراء جريا على العادة^(١) .

وفي ٢٥ شهر رمضان سنة ٦٥٢هـ فرقت الخلع على أربابها من الحاشية ، والخدم ، والغراشين . وكانت ٨٦٠ قطعة^(٢) .

الأعياد :

وكانوا يحتفلون بعيدي الفطر ، والنحر احتفالات كبيرة خارج الأسوار . فقد جاء في كتاب المسجد المسبوك . قوله : في يوم الأربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥هـ عيّد الناس عيد الفطر . . . ثم قوله : خرج العسكر ومقدمه مجاهد الدين ايبك الخاص المستصري . وكان ركوبه بعد طلوع الشمس في الأضواء والشموع . وكان بين يديه مئة موكية كبار ، وخمسون حويّة فيها أبواب ذهب وفضة . وكان بين يديه من الجنب العربيات بالسروج الذهب مئتا فرس ، على يد مئتي مملوك . . . وتبعه الأمير شجاع الدين الطيرس الظاهري ، وبين يديه ما يقرب من ذلك . ودونه موكب الأمير حسن بن كرم . ثم عسكر شرف الدين إقبال الشرايبي ، وفيه من التّجمل عدداً وعدداً ما يزيد على الجميع . ثم الأمراء الصغار . ثم موكب الخليفة وفيه : الممالك الترك ومماليكهم ما يزيد على خمسة آلاف . ثم موكب الديوان . وصلّوا صلاة العيد في المصلّى ظاهر البلد قريب غروب الشمس . وعادوا الى الديوان وفيه الوزير وسائر أرباب الدولة^(٣) .

وفي غرة شوال سنة ٦٤٦هـ خرجت العساكر الى ظاهر البلد .

-
- (١) المسجد المسبوك . الورقة ١٨٥ .
 - (٢) المسجد المسبوك . الورقة ١٨٥ .
 - (٣) المسجد المسبوك . الورقة ١٧٢ .

وخرج موكب الخليفة بحجة موكب الخاض إقبال الشرايبي ، في أحسن
زي ، وأجمل ترتيب ، وأكمل عدة ، وأملح تأديب • وركب الوزير على
عادته الى الديوان ، وأورد الشعراء التهاني • ولم يركب الشرايبي لضيق
الوقت^(١) •

ونختتم هذا الفصل عن أعمال الشرايبي الخيرية بما اقتبسناه من مقامة
المؤرخ ظهير الدين السكازروني فقد ذكر البدرية من أبواب دار الخلافة
التي يسكن بها الخليفة وقال :

« يسكن بها الشرايبي أحد خدمه وصاحب الحكم في داره ، وخاص
الخواص ، وسيد العام والخاص ، وزعيم الجيوش والقواد ، ومالك الأمر
في البلاد ، واليه ترجع الممالك والخدم ، وعلى يده تفض الأموال والنعم •
فمنها انه في كل عام يجلس للخاص والعام ، ويفض من المبار ما يجاوز
حد الاكثار ، فيشمل بعبائه الداني والقاصي ، ويعم بنائله المطيع والعاصي •
يكاد يحكيه صوب الغيث منهمرا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

فيستمر على ذلك أياما ، يعطي فيها أموالا جساما ، نياية عن مولاه ،
اذ هو أجل من يتولاه ، الا أنه يشاهد فض الأموال من وراء الحجاب ،
ويسمع ابتهاج المخلصين بالدعاء المجاب • فاذا انقضت أيام العطاء ، انتصب
لتدبير ملك الزوراء ، مشيرا بالمصالح ، ومنهبا على الخير اللائح • وله
مركوب يوقف بها الى الليل •^(٢) ، ثم يحمل الى مقام الخيل ، تحفه
غلمان كالعقبان ، وتزفه في موكب من العقبان » •

(١) العسجد المسبوك • الورقة ١٧٤ ، لاحظ الورقة ١٧٨ أيضا •
(٢) كذا ورد في النص • والظاهر ان المقصود ان له محفة يطوف
بها على المصالح • من شرح السيدين الاخوين كوركيس عواد وميخائيل
عواد ، ص ٢٠ - ٢١ من المقامة •

الفهرست

المادة	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الاول	
مصادر البحث في تاريخ الشرابي	٧
الفصل الثاني	
عصر الشرابي ببغداد	١٥
الفصل الثالث	
سيرة الشرابي بين سنة ٦١٥هـ و ٦٥٣هـ	٣١
١ - الشرابي في صباه	٣٣
٢ - تمكنه من دار الخلافة	٣٥
٣ - خدمته لوالدة المستعصم عند حجها	٤٣
٤ - أصحاب الشرابي وخواصه	٥٠
٥ - تشريفه الناس بلباس الفتوة	٥٢
٦ - هبات الشرابي	٥٣
٧ - اخلاصه للمستنصر	٥٤
٨ - رعاية الشرابي للعدائين والرياضيين	٥٦
٩ - عناية الشرابي بحمام الزاجل	٥٨
١٠ - ثروة الشرابي ووكلاؤه	٥٨
١١ - ديوان الشرابي ودوره ببغداد والحلة ومكة	٦٢
١٢ - وفاته	٦٣
الفصل الرابع	
نفوذ الشرابي في الدولة العباسية	٦٥

الفصل الخامس

حياة الشرايبي العسكرية	٧٣
١ - فتح اربل سنة ٦٣٠هـ	٧٥
٢ - الاستيلاء على اربل بعد حصار المغول لها سنة ٦٣٤هـ	٧٩
٣ - رد جيوش المغول عن بغداد سنة ٦٣٤هـ وسنة ٦٣٥هـ	٨١
٤ - رد المغول عن بغداد سنة ٦٤٢هـ وسنة ٦٤٣هـ	٨٤

الفصل السادس

مدارس الشرايبي واعماله الخيرية	٩١
الختان	٩٥
حضور الترب بالرصافة	١٠٠
الرسوم الرجبية	١٠١
الرسوم الرمضانية	١٠١
الاعبياد	١٠٣

من آثار المؤلف المطبوعة

أولا - كتب ورسائل :

- ١ - المنتخبات الادبية . بغداد - مطبعة الكرخ سنة ١٩٣٥ .
- ٢ - المدرسة المستنصرية . بغداد - مطبعة دنكور سنة ١٩٣٥ .
- ٣ - مقدمة في تاريخ المستنصرية وعلماؤها . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٥٨ .
- ٤ - علماء المستنصرية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ .
- ٥ - تاريخ علماء المستنصرية في مجلد واحد . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ .
- ٦ - المدخل في تاريخ الحضارة العربية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٠ .
- ٧ - المدرسة الشرايية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦١ .
- ٨ - خطط بغداد . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦١ .
- ٩ - تثنية الاسماء التاريخية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٢ .
- ١٠ - التوقيعات التدريسية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٣ .
- ١١ - عروبة المدن الاسلامية . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٤ .
- ١٢ - المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة . بغداد - مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٥ .
- ١٣ - تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ .
- ١٤ - مقدمة في تاريخ مدرسة ابي حنيفة وعلماؤها . بغداد - مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ .
- ١٥ - علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية . بغداد - مطبعة الحكومة سنة ١٩٦٥ .
- ١٦ - نشأة المدارس المستقلة في الاسلام . بغداد - مطبعة الازهر سنة ١٩٦٦ .

- ١٧ - حياة اقبال الشرايبي . بغداد - مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ .
- ١٨ - مدارس واسط . بغداد - مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ .
- ١٩ - مدارس مكة . بغداد - مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ .

ثانيا - كتب للمؤلف مع مؤلفين آخرين :

- ٢٠ - المطالعة العربية الحديثة ثلاثة أجزاء . بغداد - مطبعة النجاح سنة ١٩٣٤ .
- ٢١ - تاريخ العرب (عدة طبعات بعدة مطابع) سنة ١٩٤٩ فما بعدها .
- ٢٢ - موجز تاريخ الحضارة العربية (عدة طبعات بعدة مطابع) - بغداد سنة ١٩٤٩ فما بعدها .
- ٢٣ - دروس التاريخ (عدة طبعات بعدة مطابع) - بغداد .
- ٢٤ - تاريخ العرب في القرون الوسطى (عدة طبعات بعدة مطابع) - بغداد .

ثالثا - بحوث مختلفة في المجالات العراقية : كمجلة كلية الآداب

- ومجلة الكتاب ، والاقلام ، والمعلم الجديد ، والاجيال ...
- ومجلة كلية الشريعة ... الخ .

- ١ - تكوين رأي عام لعقد مجمع للتشريع الاسلامي .
- ٢ - أسلوب البحث العلمي عند المحدثين .
- ٣ - تكوين الجيل الصالح
- ٤ - بلاد اوربية حضرها العرب .
- ٥ - أول تأميم في العراق .
- ٦ - أول جامعة ببغداد .
- ٧ - الضمان الاجتماعي في الاسلام .
- ٨ - موارد الضمان الاجتماعي في الاسلام .
- ٩ - ضوء جديد على أوقاف المستنصرية .
- ١٠ - مشروع الضحية .
- ١١ - خزانة المستنصرية .
- ١٢ - مدارس الشرايبي وأعماله الخيرية .
- ١٣ - عصر الشرايبي ببغداد .

تصويب الأخطاء المطبعية

اقرا في	الصفحة	السطر	على الصورة الآتية
	٤٠	٨	عبدالرحمن ابن اللمغاني
	٤٠	٩	أبا الأزهر
	٤٦	٢٣	بنى
	٤٨	١٢	السراقات
	٧٥	٩	ابن الطنقطي
	٩١	١٠	الكتاب

THE LIFE

OF

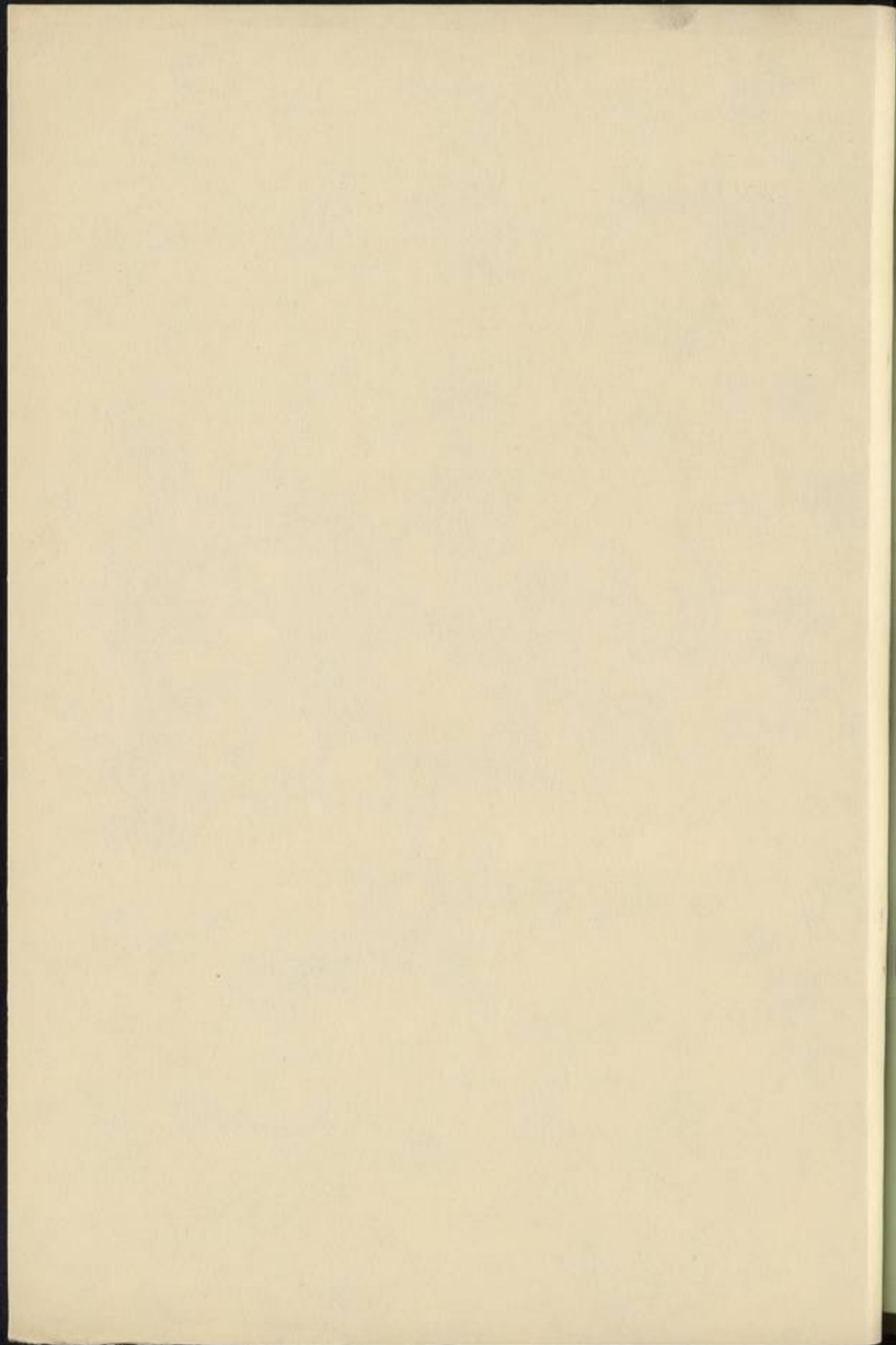
IQBAL AL SHARABI

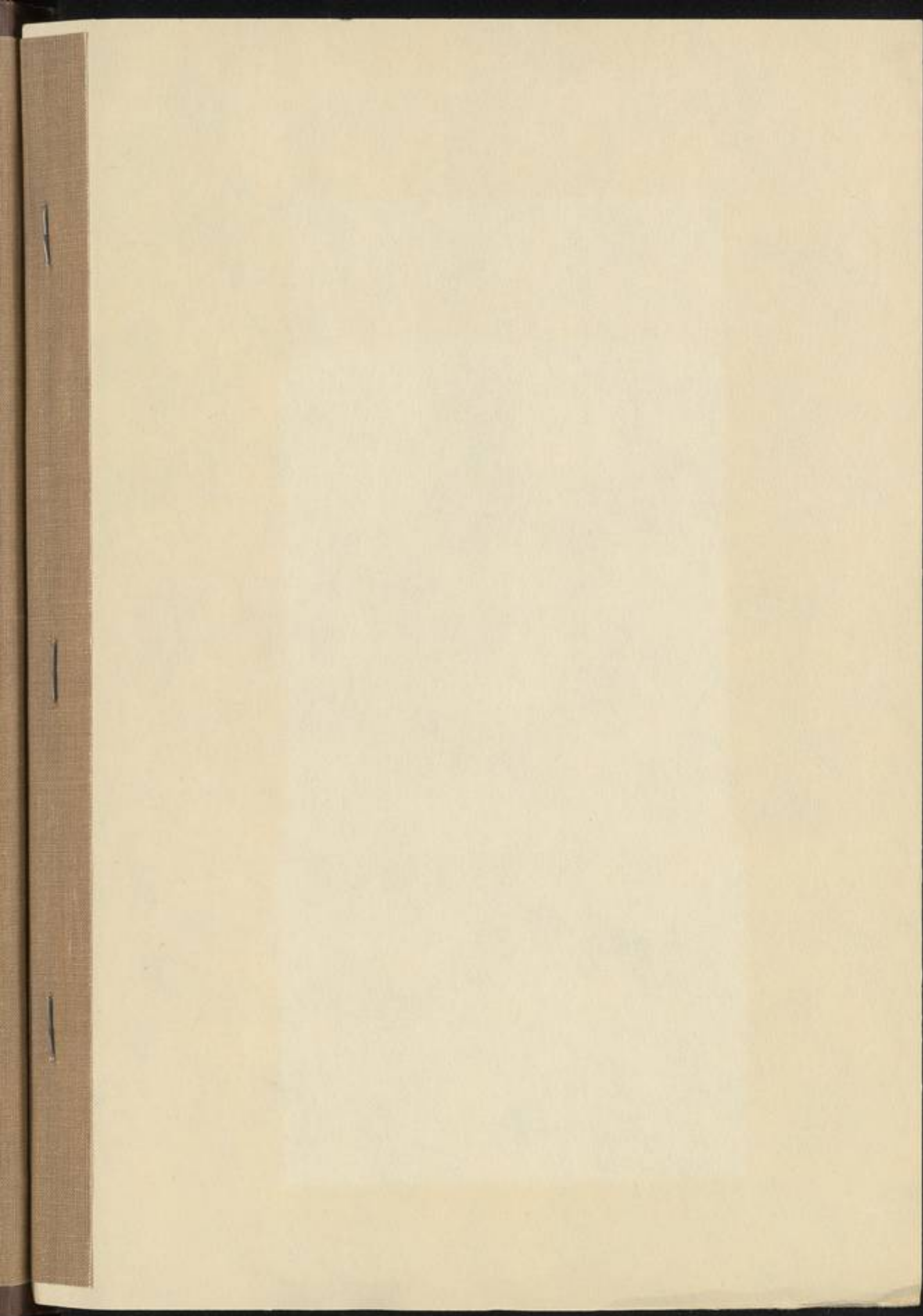
by

Prof. Naji Marouf

Member Public Civil Service Board

Al - Irshad Press
Baghdad } 1385 A.H
 } 1966 A.D





DS
76
.M3

02953145

DS 76
.M3

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52894002

DS76 .M3

Hayat Iqbal al-Shara

DS-76 - .M3